

إيكو كادونو

خدمة كيكي للتوصيل

ترجمة: ميسرة عفيفي

مراجعة: بثينة الإبراهيم

مرايا | منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING




خدمة كيكي للتوصيل

الكاتب: **إيكو كادونو**

عنوان الكتاب: **خدمة كيكي للتوصيل**

ترجمة: **ميسرة عفيفي**

العنوان باللغة الأصلية: 魔女の宅急便サービス

الكاتب: 角野 栄子

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-775-76-1

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2023

3000 نسخة



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

takween.publishing@gmail.com
takweenkw
takween_publishing
TakweenPH
www.takweenkw.com

الفصل الأول

بداية الحكاية

كان يا ما كان في قديم الزمان، بلدة صغيرة محصورة بين غابة عميقة وتلال معشبة معتدلة الانحدار. تقع هذه البلدة على سفح جبل ينحدر نحو الجنوب، وتتلون أسطح بيوتها الصغيرة المتراصة بلون بُنيٍّ كلون الخبز المحروق. وتتوسط البلدة مباني البلدية ومخفر الشرطة ومركز الإطفاء والمدرسة. كانت بلدة عادية تشبه أي بلدة في أي مكان.

ولكن إذا أمعنّا النظر قليلًا، فسنكتشف أشياء أخرى لا نراها في البلدات العادية.

من هذه الأشياء أجراس فضية تتدلى من قمم الأشجار العالية. وتصدح تلك الأجراس بصليلها، رغم انعدام هبوب الرياح. وحينئذ يتبادل أهالي البلدة النظر قائلين وهم يضحكون:

- أوه. لقد تعثرت كيكي الصغيرة مجددًا.

ولكن كيف لأحد «صغير» أن يقرع الأجراس في أعالي الشجر؟



إذا نظرنا شرق البلدة واختلسنا النظر قليلًا إلى بيت كيكي، فسنجد الجواب.

عُلق لوح خشبي فوق عمود البوابة المواجهة للطريق كُتب عليه: «عندنا دواء للعطاس»، بجوار بوابة خضراء كبيرة مفتوحة على مصراعيها. وإذا دخلنا وجدنا حديقة واسعة، وبيتًا ذا

طابق واحد على يسارها. زُرعت في الحديقة أنواع عديدة من نباتات عجيبة حسنة الترتيب، منها ما له أوراق عريضة ومنها ما له أوراق مدببة. وتفوح في المكان كله رائحة حرِّيفة زكية. تستمر الرائحة معنا حتى نصل إلى داخل البيت، وتغدو الرائحة أقوى قرب القِدر النحاسيَّة الكبيرة في المطبخ. ومن هناك نرى جدار غرفة المعيشة الأمامية. فبدلًا من اللوحات والصور التي تزين جدران البيوت عادة، زُين الجدار بمقشتين متجاورتين صنعتا من أغصان الشجر، إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة. يا له من بيت عجيب!

أوه! يتناهى إلينا من غرفة المعيشة حوار الأسرة.

فنسمع أولًا صوتًا نسائيًا متبرمًا:

- متى تنوين الرحيل يا كيكي؟ لن يجدي التأجيل والتكاسل هكذا! يجب أن تنضجي وتصيري راشدة.

ثم نسمع صوت فتاة صغيرة فيه شيء من الحنق:

- هل سنتكلم في هذا الأمر مرة أخرى؟ لا تقلقي يا أمي، فأنا ابنتك. وأنا ساحرة صغيرة. كما أني أفكر في الأمر بجدية.

- اتركي هذا الأمر لكيكي يا عزيزتي. إن لم يكن لديها الرغبة في ذلك، فلن يفيد معها أي قول.

كان هذا صوتًا رجوليًا رصينًا.

واحتدَّ صوت المرأة التي دُعيت بالأم:

- أنت محق. ربما كان الأمر كذلك. ولكنني في منتهى القلق لإحساسي أنه واجب عليَّ.

هل اتضح الأمر؟ هذا البيت تسكنه أسرة من الساحرات.

فالأم كوكيري ساحرة حقيقية وأصيلة لها إرث عريق وممتد، ولكن الأب أوكينو إنسان عادي. إنه باحث في التراث الشعبي، يدرس الأساطير والحكايات الشعبية المتعلقة بالساحرات والجنيَّات. أما كيكي فهي الابنة الوحيدة لهما وسوف تبلغ الثالثة عشرة من عمرها هذا العام.

وكان الثلاثة يناقشون أمر تحديد موعد لرحيل كيكي في رحلة النضج بمفردها. فقد جرت العادة أن تغدو ساحرةً الابنةُ المولودة لأب عادي وأم ساحرة. ولكن بعض الفتيات يرفضن ذلك أحيانًا، فيُترك الأمر لكل فتاة بعد أن تتخطى العاشرة من عمرها لتقرر مصيرها بنفسها.

فإذا قررت أن تصبح ساحرة، تبدأ في تعلم السحر من أمها، وعندما تبلغ الثالثة عشرة من عمرها، تختار ليلة يكون فيها البدر مكتملًا لتغادر في رحلة النضج بمفردها. وهذا يعني أن تترك الساحرة الصغيرة بيت أهلها وتبحث عن مدينة أو بلدة ليس بها ساحرة، وتعيش فيها بمفردها. ولا شك أن هذا الأمر في منتهى الصعوبة على فتاة صغيرة، ولكنها عادة هامة للساحرات -اللائي تناقص عددهن كثيرًا وتراجعت قوة سحرهن- كي يستطعن البقاء على قيد الحياة في عصرنا الحالي. وهي كذلك وسيلة جيدة لإعلام مزيد من المدن والقرى والبشر بأن الساحرات ما زلن موجودات في الواقع.

قررت كيكي في منتصف عامها العاشر أن تغدو ساحرة، وبدأت تتلقى دروس السحر من أمها كوكيري. تنقسم قدرات كوكيري السحرية إلى نوعين، الأول صناعة دواء العطاس، والآخر الطيران بالمقشة في السماء.

سرعان ما برعت كيكي في الطيران بالمقشة. ولكنها، إذ تقترب من سن النضج، تفكر في العديد من الأمور كلما طارت. كالبثور التي تملأ وجهها على جانبيِّ أنفها، والفستان الذي ستلبسه في حفل عيد ميلاد إحدى الصديقات، وغير هذا من الأمور.

وكلما حدث هذا، يا للهول! بدأت المقشة في الهبوط المفاجئ. وفي إحدى المرات لم تفكر إلا في حمالة الصدر المخرمة التي تلبسها لأول مرة، فلم تنتبه لهبوط المقشة حتى اصطدمت بعمود توصيل الكهرباء. تحطمت المقشة أشلاء، أما كيكي فنالها ثلاث إصابات؛ واحدة في أرنبة أنفها واثنتان في ركبتيها.

وعندها علقت أمها كوكيري على كل شجرة من الأشجار العالية جرسًا. فإذا سرحت كيكي وطارت على ارتفاع منخفض، لمست قدماها الجرس فيصدح منبهًا لها. وقد انخفض مؤخرًا رنين الأجراس. ولكن يبدو أن السحر الآخر، أي صناعة دواء العطاس، لا يناسب طبيعة كيكي. تُرى هل يعود هذا إلى قلة صبرها؟ فهي لا تقدر على زراعة الأعشاب الطبية، ثم طحن الأوراق والجذور وطبخها على نار هادئة لوقت طويل.

كانت كوكيري تتحسر بالقول:

- تُرى هل سيندثر نوع آخر من السحر؟

في الماضي كانت الساحرة تستخدم أنواعًا عديدة من السحر. ولكن في غفلة من الزمن اختفت هذه الأنواع واحدًا بعد الآخر. ولم تعد كوكيري، وهي الساحرة الأصيلة، تستخدم إلا نوعين فقط، وابنتها كيكي تكره أحدهما، فلا عجب أن تشعر كوكيري بالأسى إذن.

- أجل، فالطيران أكثر متعة من الوقوف أمام القدر وتقليب ما فيها.

لا تفهم كيكي حقيقة الأمر، وهنا يتدخل أوكينو ليهدئ من غضب كوكيري قائلًا:

- حسنًا، ألا ترين أنه ما باليد حيلة؟ وربما يأتي زمن ويعود السحر الذي اختفى. أليس القط الأسود موجودًا معها؟

اصطحبت الساحرات قططًا سوداء من قديم الزمان، وهذا نوع آخر من السحر.

لدى كيكي قط أسود صغير اسمه جيجي. وكان لدى كوكيري قطة اسمها ميمي. عندما تلد الساحرة طفلة، تبحث عن قط أسود وُلد في الفترة نفسها تقريبًا، وتربي الاثنين معًا. وأثناء ذلك تستطيع الفتاة أن تتحدث مع القط الأسود حديثًا لا يسمعه سواهما. ذلك القط الأسود عظيم الأهمية للفتاة التي عليها أن ترحل وحدها فيما بعد، ووجود من يقاسمها أفراحها وأحزانها يبث الطمأنينة في روحها. وفيما بعد إذ تكبر الفتاة وتجد من الجنس الآخر من تهتم به بديلًا من القط وتتزوجه، يجد القط وليفه هو الآخر، فيفترقان ويعيش كل منهما بعيدًا عن صاحبه.



الفصل الثاني

كيكي تستعد لرحلة النضج

بعد وقت الشاي، خرج كل من أوكينو وكوكيري لقضاء بعض الحاجات، فجلست كيكي والقط الأسود جيجي شاردينِ في مكان مشمس في طرف الحديقة.

قالت كيكي كأنها تُحدِّث نفسها:

- من الأفضل الرحيل قريبًا، أليس كذلك؟

رفع جيجي رأسه ونظر إلى كيكي قائلًا:

- بلى. لا تقولي بعد كل ذلك إنك لا تريدين أن تصيري ساحرة؟

فقالت كيكي حاسمة أمرها:

- مستحيل! لقد اتخذت قراري.

ثم تذكرت ما شعرت به من انبهار حين طارت بالمقشة لأول مرة.

نشأت كيكي مثل أي طفلة عادية. وعرفت أن أمها ساحرة، وأن عليها أن تقرر أتصير ساحرة هي الأخرى أم لا، ولكنها لم تفكر في الأمر بجدية. ثم مر وقت قصير بعد بلوغها العاشرة، إذ سمعت صديقة من صديقاتها تقول: «أنا أيضًا سأرث مهنة أمي وأصير مصففة شعر»، وهنا باتت كيكي تفكر في أمر «وراثة مهنة الوالدين». فقد شعرت برغبة أمها كوكيري في أن تحذو حذوها. ولكن كيكي لم ترغب في أن تغدو ساحرة، فقط لأن أمها ساحرة.

كانت كيكي تحدث نفسها:

«سأمتهن المهنة التي أريدها وأختارها بنفسي».

وصنعت لها كوكيري في أحد الأيام مقشة صغيرة وقالت:

- ألا تجربين الطيران ولو قليلًا؟

- أنا؟ هل أستطيع الطيران؟

- أجل، فأنت ابنة ساحرة. فلا بد أنك تستطيعين.

عرفت كيكي أن أمها تحاول إغراءها لتنهج نهج جداتها. ولكنها تحمست فهي فرصة نادرة، فبدأت على الفور في تعلم مبادئ الارتفاع عن الأرض ثم الهبوط إليها. وبعدها امتطت

المقشة بقليل من الخوف وركلت الأرض بقدميها خلف أمها كوكيري.



وسرعان ما شعرت كيكي بأن جسمها بات خفيفًا وعلت كيكي في الهواء!

صرخت كيكي رغمًا عنها:

- إنني أطير!

ارتفعت بمقدار ثلاثة أمتار فقط عن سطح البيت، ولكنها شعرت بمتعة عظيمة. بل إن السماء كانت أكثر زرقة نوعًا ما. كما أن فضولًا عجيبًا انتابها، كأنه يجذب جسدها وقلبها إلى أعلى، فجعلها ترغب في الطيران أكثر وهي تفكر ماذا سأرى؟ ماذا سأكتشف؟ أعلى... أعلى... ثم وقعت في غرام الطيران على الفور. وقررت بالطبع أن تغدو ساحرة.

فرحت كوكيري فرحة كبرى وقالت:

- إنه يسري في دمك!

ولكن كيكي اعترضت قائلة لنفسها: «إن هذا ليس السبب الوحيد، لقد اخترت بنفسي أن أكون ساحرة».

نهضت كيكي فجأة وقالت وهي تشير بذقنها ناحية المخزن في ركن الحديقة:

- ما رأيك أن نلقي نظرة عليها يا جيجي؟ لحظات قصيرة فقط أثناء غياب أمي.

فقال جيجي بتكاسل وانزعاج:

- ولماذا تخفينها عن السيدة كوكيري؟

- لأن أمي تبالغ كثيرًا إذا تعلق الأمر برحلتي، وتتعقد الأمور كلما تدخلت.

- حسنًا، لا مانع. فاحرصي على أن تنال كفايتها من أشعة الشمس كي يكتمل جفافها.

- لحظات فقط.

- موافق، ولكن لا تجلبيها إلى السرير مرة ثانية. إن نمتِ وأنت تحضنينها، فسينمو عليها العفن كالمرة الماضية.

- أدرك ذلك. وإن لم تساعدني، فلن أقدر على فعل شيء. قريبًا سنكون وحدنا.

قالت كيكي ذلك وهي تمر برشاقة بين الأعشاب الطبية التي يصل طولها إلى خصرها تقريبًا، ثم انعطفت في الفراغ الكائن بين المخزن والسور. وقالت بصوت عالٍ في الوقت نفسه:

- انظر!

عُلِّقت مقشة طويلة رفيعة على إفريز المخزن. ألقت عليها الشمس التي مالت قليلًا ناحية الغروب أشعتها فتألقت.

- لقد باتت بهذا الجمال. جفت بالفعل ولا خوف عليها.

- يبدو أن الأمر نجح هذه المرة.

أطل جيجي من بين قدمي كيكي ونظر عاليًا بحدقتين واسعتين.

- ما رأيك يا كيكي أن تجربي الطيران في جولة سريعة؟ فالطقس جميل والسماء صافية.

- مستحيل!

هزت كيكي رأسها بعنف ثم أضافت:

- لن أستخدمها حتى اليوم الموعود. لقد اقترب بالفعل. أريد الذهاب وكل شيء جديد في جديد، فستاني وحذائي ومقشتي أيضًا. أود أن أولد من جديد. أمي تقول دائمًا: «إنك ساحرة من سلالة عريقة، ويجب عليك الاهتمام بالموروث» ولكن أنا هي أنا. لي طريقتي، فأنا ساحرة جديدة.

تبرم جيجي قليلًا وهز شاربيه قائلًا:

- إذن، كيف لي أن أصبح جديدًا أنا أيضًا؟

- لا تقلق. سوف أصفف لك فروتك الجميلة حتى تغدو لامعة. سأجعلك تبدو كأنك صُنعت للتو.

خرخر جيجي بصوت من منخاره.

- ماذا تعنين بقولك صُنعت للتو؟ لستُ وجبة طعام! ولستِ الوحيدة التي ستنضج

يا كيكي.

- أنت على حق. أعتذر لك.

كتمت كيكي ضحكتها واختلست النظر إلى عيني جيجي.

- تُرى كيف سنشعر عند الرحيل؟!

- أراهنك أنك ستبكين يا كيكي.

- كلا! مستحيل أن أبكي.

- بالمناسبة، متى عزمت على الرحيل؟

نظر جيجي عاليًا إلى وجه كيكي من جديد.

- يمكننا ذلك في أي وقت. ما رأيك؟ هل نحسم أمرنا ونرحل مع اكتمال البدر؟

- ماذا؟ هذا الشهر؟

- أجل بعد خمسة أيام. أليس تنفيذ القرار فور اتخاذه أمرًا ممتعًا؟

- إنك تبالغين. مهلًا، مهلًا.

- سوف أبلغ أبي وأمي بذلك الليلة. ما المدينة التي ستنتهي إليها رحلتنا يا جيجي؟

نظرت كيكي عاليًا نحو السماء البعيدة وفي عينيها بريق النضج.

- إنني قَلِق. تُرى إلامَ سيؤول أمرنا؟ فأنت تتسرعين دومًا في اتخاذ قراراتك.

- حقًّا؟ إنني لستُ قلقة على الإطلاق. لندعْ عنّا القلق حتى يحدث ما يُقلق. إنني الآن متشوقة كمن يفتح هدية.

قالت كيكي ذلك منقطعة الأنفاس ثم مدت يدها ووكزت المقشة بأناملها، فاهتزت كأنها توافقها على كلامها.

بعد تناول وجبة العشاء في اليوم نفسه، وقفت كيكي مع جيجي أمام أوكينو وكوكيري.

- أرجو منكما عدم القلق. فقد حددتُ يوم الرحيل.

نهضت كوكيري:

- أوه! حقًّا؟ متى إذن؟

- ليلة اكتمال البدر.

اضطربت كوكيري ونظرت سريعًا إلى التقويم المعلق على الجدار.

- ماذا؟ لم يبقَ إلا خمسة أيام فقط. لا تمزحي. أجِّلي الرحيل حتى اكتمال البدر في الشهر القادم.

عبست كيكي وهزت كتفيها.

- أرأيتِ؟! هذه عادتك يا أمي. إذا أجلتُ غضبتِ، وإذا قررتُ اعترضتِ.

فقال أوكينو:

- إنها على حق يا كوكيري، هذا تصرف غريب منك.

- ماذا تقول؟ أمامنا الكثير من التحضيرات، ويقع العبء كله على الأم.

اضطربت كوكيري واحمر وجهها. وهنا قربت كيكي وجهها من وجه كوكيري وهزت خصرها ثم قالت كأنها تشدو:

- إذا قلت لك ثقي بابنتك، فيجب أن تثقي بها. فقد أنهيت كل التحضيرات بالفعل.

ثم قالت لجيجي:

- أليس كذلك؟

وبدلًا من الرد، حرك جيجي ذيله موافقًا.

- أوه.

فغرت كوكيري فاها من الدهشة ثم أغمضت عينيها.

- التحضيرات؟ ما الذي فعلته؟

- المقشة. صنعت مقشة جديدة أنا وجيجي. أليس كذلك يا جيجي؟ انتظري قليلاً سأحضرها حالًا.

فتحت كيكي الباب وانطلقت كالريح. ثم عادت فورًا ودفعت بيدها المقشة التي خبأتها في المخزن أمام كل من كوكيري وأوكينو قائلة:

- ها هي.

فقال أوكينو بإعجاب:

- أوه! يا لك من ماهرة.

فهزت كيكي المقشة وهي تقول:

- بللتُ أغصان شجر الصفصاف بمياه النهر ثم عرَّضتها لأشعة الشمس. ما رأيك يا أمي، ألم أُجِد صنعها؟

هزت كوكيري رأسها ببطء وقالت:

- جميلة الصُنع. ولكن هذه المقشة لا تنفع.

- لماذا؟ لن أرضى بالمقشة الصغيرة التي كنتُ أستعملها حتى الآن. فأنا لا أجيد من السحر إلا الطيران، وأريد أن أطير بمقشة جديدة تروق لي.

هزت كوكيري رأسها مجددًا وقالت:

- وللسبب الذي ذكرتِه، فإن المقشة في منتهى الأهمية. ماذا ستفعلين إذا طرتِ بمقشة لم تعتادي عليها وفشلتِ في الطيران؟ البداية أهم المراحل، ورحلة النضج ليست بالأمر الهين. ولن نعطيكِ من النقود إلا القليل، وعليك أن تقتصدي ثم تقتصدي لتجدي طعامك طوال عام. ثم يجب على الساحرة أن تعتاش من السحر الذي تتقنه. لذا يجب عليك العثور على طريقة لكسب العيش خلال هذا العام. مثلما ظلت أمك تصنع الدواء وتفيد أهالي البلدة. ارحلي بمقشة أمك، فهي مقشة استُخدمت كثيرًا وقد تشرَّبتْ طريقة الطيران.

- كلا، لا أريدها. فالهباب يكسوها واسودت كأنها مقشة لتنظيف المداخن. كما أنها ليست أنيقة فمقبضها غليظ وثقيل، أليس كذلك يا جيجي؟

هكذا وجهت كيكي السؤال إلى جيجي الذي كان يراقب الموقف عند قدميها. فبالغ جيجي في خرخرته هذه المرة.

- أرأيتِ؟ جيجي يوافقني الرأي. يقول إن القط الأسود فوق هذه المقشة سيبدو كالغمامة الممطرة. وإذا ركب مقشة الصفصاف فسيبدو كأمير يركب عربة بلورية.

علت ضحكات كوكيري وقالت:

- آه منكما أنتما الاثنان! اتفقتما معًا! أنت ما زلتِ طفلة. والمقشة ليست لعبة تلهين بها. سوف تقدَّم مقشة أمك هذه وتبلى يومًا ما، وعندها يمكنك اختيار ما يروق لك. ستكونين حينئذ ساحرة ناضجة.

ثم أغمضت كوكيري عينيها فجأة كأنها تفكر في أمر ما.

زمّت كيكي شفتيها وأخذت تضرب الأرض بالمقشة عدة مرات.

- ماذا سأفعل بهذه المقشة إذن بعد تعبي في صُنعها؟

- سأستخدمها أنا بدلًا منك. هل ترضين بذلك؟

سمعت كيكي كلام كوكيري وظلت تحملق إلى مقشتها، ثم رفعت وجهها وقالت:

- أجل، إن كان الأمر كذلك فلا بأس. ولكن ماذا عن الفستان؟! اتركيني أختار ما أحب من الملابس. لقد رأيت في واجهة المحل الكائن في الطريق الرئيس فستانًا رائعًا، مزينًا برسومات زهور القوسموس. إذا ارتديته سأبدو زهرة تطير.

تجهم وجه كوكيري مرة أخرى:

- يؤسفني أن أخبرك بأن هذا الفستان ليس مناسبًا. لم تعد الساحرة الآن تعتمر قبعة مخروطية الشكل، وتلتحف عباءة طويلة، كما جرت العادة في الماضي. ولكن المتعارف عليه منذ قديم الزمان أن تكون ملابس الساحرة سوداء بالكامل ولا يمكن تغيير ذلك أبدًا.

انتفخت أوداج كيكي في تبرم.

- يا لها من عادات قديمة بالية حقًا! ساحرة سوداء وقط أسود! سواد في سواد.

- لا شك أنها عادات قديمة فأنت ساحرة من دماء عتيقة. ولكن الأسود أنيق في كل العصور. اتركي الأمر لأمك، سأخيط لك واحدًا بأسرع ما يمكن.

همست كيكي لنفسها قائلة: «من دماء عتيقة مرة أخرى»، ولكنها بدلًا من الرد زمت شفتيها وأنتأتهما.

- لا يجدر بك الاهتمام بالشكل هكذا يا كيكي، فالمهم هو الجوهر.

- أدرك يا أمي. اتركي الجوهر لي. ويؤسفني أنك لا تستطيعين رؤيته.



أمالت كيكي ذقنها ثم اقتربت من أوكينو.

- لا مانع من أخذي المذياع يا أبي، أليس كذلك؟ أريد أن أطير وأنا أستمع إلى الموسيقى. وحبذا لو كان أحمر اللون.

- حسنًا، حسنًا، طلبك مقبول.

ضحك أوكينو موافقًا. وابتسمت كوكيري في رضًا هذه المرة. ثم أدارت ظهرها فجأة وقالت:

- حسنًا يكفي هذا، تصبحين على خير يا كيكي.

وقبضت بيدها اليمنى على طرف مئزرها ورفعته ببطء لتجفف عينيها.

الفصل الثالث

كيكي تهبط في مدينة كبيرة

ازداد القمر استدارةً يومًا بعد يوم إلى أن بات الليلة بدرًا مكتملًا. لقد حلَّ اليوم الذي قررت كيكي فيه الرحيل.

وإذ بدأت الشمس تميل ناحية الغرب ذلك المساء، لبست كيكي الفستان الأسود الجديد الذي خاطته لها كوكيري، وأطالت النظر إلى المرآة تعاين الفستان من الأمام حينًا ومن الخلف حينًا آخر. وعند قدميها فعل القط الأسود جيجي فعلها، فأخذ ينظر إلى المرآة من الجنب، ويمدّ جسده مرة ويقلصه أخرى. ثم امتطى كلاهما مقشة كوكيري يميلان بها متخذين وضعية الطيران أمام المرآة.



- حسنًا، ما رأيكما أن تنهيا استعراضكما عند هذا الحد؟انظرا إلى سماء الغروب! لقد كاد الشفق يختفي.

هكذا وجهّت إليهما كوكيري الحديث وهي تجوب البيت في حركة لا تهدأ وعمل لا يكل.

قالت كيكي وهي تشد طرف الفستان إلى الأعلى وتشبُّ على أصابع قدميها:

- أمي، هلّا قصَّرتِ لي الفستان ولو قليلًا؟

- لماذا؟ إنه يناسبك تمامًا.

- أرى أنني سأكون أجمل لو ظهرت ساقاي قليلًا.

- بل أنت هكذا أكثر رقيًا ورفعة. والأجمل أن يبدو عليك النضج، رغم أن الكثيرين يعيبون على الساحرات سلوكهن مهما فعلن. هيا، هيا هذه وجبة الطريق.

ربّتت كوكيري على كتف كيكي ثم وضعت بجوارها صندوق طعام مغلّف بقطعة من القماش.

- أضفتُ إلى الطعام أعشابًا طبية حتى لا يفسد سريعًا. تناوليه بحرص واقتصاد. كانت أمي ماهرة جدًا في إعداد وجبة طعام الرحيل هذه. فقد كانت تجيد رقية للأعشاب الطبية التي تضاف إلى الخبز فلا يفسد ولا يجف. مؤسف أننا لم نعد نجيد هذه الرقية اليوم .

تدخّل في الحديث أوكينو الذي خرج من غرفة عمله وفي يده كتاب قائلًا:

- يبدو لي أن توريث مثل هذا السحر أمر سهل. فلماذا اختفى يا ترى؟ ولكنها طبيعة السحر على أي حال.

- الغريب أنني أنا الساحرةَ لا أعلم السبب. ومن الناس من يقول إن السبب هو اختفاء الهدوء التام الذي لا يخالطه أي صوت واختفاء الليل البهيم المدلهم. إذا وُجد ضوء ولو خافت جدًا، وإن صدر صوت، ولو كان خافتًا، تتشتت النفس ولا يمكنها إجادة السحر.

- حقًا. بات الليل أكثر إنارة مما كان عليه في الماضي البعيد، والمصابيح تضيء كل مكان اليوم.

- أجل، تغير العالم عمّا كان عليه.

أومأت كوكيري موافقة فقالت لها كيكي وهي تنظر إلى المرآة:

- أوه، هل هذا صحيح؟

ثم توجهّت إليها بوجه عابس:

- أرى أن اختفاء السحر ليس عائدًا إلى تغير المجتمع. بل إلى مبالغة الساحرات في الحياء والتحفظ. حتى أنتِ يا أمي تقولين دائمًا إن على الساحرة أن تتواضع وتستحي، أليس كذلك؟ أكره أن أعيش حياتي خائفة مما سيُقال عني. أريد أن أفعل ما أشاء بحرية وإقدام.

وسّع أوكينو حدقتي عينيه متأثرًا وهو يقول:

- أوه، أحسنتِ القول يا كيكي!

- ولكن اسمعي يا كيكي، لم تكن القوى الغامضة في الماضي شيئًا تختص به الساحرات

فقط، بل تمتع بها أناس كثيرون أيضًا. ولكن أغلب الناس ربطوا بين الساحرة وبين المصائب والشرور، وظنوا أنها جالبة للشؤم وسوء الحظ.

أومأ أوكينو متمعنًا في التفكير وقال:

- ربما كان ذلك صحيحًا.

- إنه صحيح! ألا يُقال كثيرًا إن الساحرات هن اللائي جعلن العفن ينمو في الحليب الطازج من أجل صناعة نوع مميز من الجبن؟ ألا يأكل الناس كلهم هذا الجبن اليوم؟

قالت كوكيري ذلك ثم نظرت إلى كيكي بقلق وأضافت:

- استطاعت الساحرات البقاء على قيد الحياة في عالم كهذا لأنهن تغيَّرن وبِتن حريصات على التعايش مع المجتمع وتبادل الأخذ والعطاء. صحيح أننا نلزم التحفظ أحيانًا، لكننا نتبادل المساعدة قدر استطاعتنا. وهذا أمر حسن، ومن الناس مَن هو مثل أبيك، يدرس أحوال الساحرات والجنيات ويبحث في شؤونهن لفهمهن.

انحنى أوكينو وأظهر براءة طفولية قائلًا:

- أوه، هل هذا مديح لي؟ إنه لشرف لي.

- ماذا؟! لقد أظلمت السماء تمامًا. سيطلع البدر بعد قليل. يجب الإسراع في تناول وجبة العشاء. لنتوقف عن هذا الحديث المعقد عند هذا الحد.

ثم نهضت كوكيري وهي تصفق.

- ليلة البدر مناسبة للرحيل لأنها منيرة، ولكني وجدت وفقًا لأبحاثي أن احتمالات هطل المطر في ليلة رحيل الساحرات أو عدم هطله متعادلة.

- هذا يتوقف على حظ الساحرة يومَها. ولكن الطقس الليلة يبدو مناسبًا، فها هي السماء صافية تمامًا بلا غيوم. كيكي، لقد أنهيتِ الاستعدادات حقًّا، أليس كذلك؟

تملصت كوكيري بخفة من حديث أوكينو المسهب وبدأت في الحركة الدائبة.

نظر أوكينو إلى عيني كيكي وقال:

- أرجو أن تعثري على مكان جيد.

فوجهت إليها كوكيري الحديث بقولها:

- ولكن حذارِ يا كيكي من اختيار المكان الذي تستقرين فيه بداعي الكسل أو التعب

من البحث.

- أفهم هذا جيدًا. أنت لا تكفين عن القلق يا أمي.

- لن تذهب إلى كوكب آخر. إنها ذاهبة إلى مدينة أخرى. ثم إنه عام واحد فقط ثم تستطيع العودة لزيارتنا بكل فخر، أليس كذلك؟

قال أوكينو ذلك ليواسي كلًا من زوجته وابنته.

وقفت كوكيري أمام كيكي وعلى وجهها ملامح الجدية وقالت:

- أعرف أني سأبدو لحوحة جدًا في نظرك يا كيكي. ولكن أرجو منك اختيار المدينة بعد تفكير جاد وعميق. لا تختاريها لمظهرها فقط، كأن تكون في المدينة متاجر كثيرة أو تكون مدينة نابضة بالحياة، فالجميع في المدن الكبرى منشغلون، وليس لديهم وقت فائض للتفكير في أمر أحد. إذا وصلتِ إلى المدينة فلا تظهري الخوف والخجل، بل احرصي على الابتسام، وامنحي أهل المدينة الثقة.

- أفهم ذلك جيدًا يا أمي. لاتقلقي عليّ. سأكون بخير.

أومأت كيكي عدة مرات ثم نظرت إلى أوكينو وقالت:

- أبي، احملني عاليًا مثلما اعتدت أن تفعل وأنا صغيرة، أتذكر؟ كنتَ كثيرًا ما تضع يديك تحت إبطيّ وترفعني في الهواء. افعل ذلك الآن.

ثم أدلت طرف لسانها في خجل.

- حسنًا! هيا.

رد أوكينو بنشاط مفرط، ووضع يديه تحت إبطيّ كيكي وحاول أن يرفعها عاليًا.

- أوه، وزنك ثقيل. لقد كبرت كثيرًا في غفلة مني. لأجرب مرة أخرى.

وضع أوكينو يديه مجددًا وهو يترنح ورفع كيكي عاليًا.

- أوه لقد ارتفعت. ولكن انتظر يداك تدغدغني. ها هاها.

تلوّت كيكي وهي تضحك ضحكات عالية.

سطع ضوء البدر من فوق الجبل الأخضر جهة الشرق كما توقعوا.

- حسنًا، سأذهب.

كانت كيكي تنوي إلقاء تحية وداع لائقة، ولكنها لم تقل إلا هذا القول البسيط. وأدلت من كتفها حزمة الأمتعة وأمسكت بالمقشة الواقفة بجوارها. وفي اليد الأخرى حملت المذياع الأحمر الذي اشتراه أوكينو من أجلها. ثم قالت لجيجي القابع عند موضع قدميها في سكون:

- هيا ألقِ تحية الوداع.

وقف جيجي ونظر إلى أوكينو وكوكيري، التي قالت له:

- أعتمدُ عليك يا جيجي.

وبدلًا من الرد هزَّ جيجي ذيله بقوة كالمعتاد.

- حسنًا يا أمي، سأكتب لك رسالة على الفور.

- أجل، راسليني دائمًا بما يحدث معك.

فتدخل أوكينو في الحديث قائلًا:

- يمكنك العودة إذا لم تجرِ الأمور على ما يرام.

فأجابت كيكي من فورها:

- لن يحدث هذا أبدًا.

فنظرت كوكيري إلى أوكينو نظرة عتاب وقالت:

- أنتَ تدللها في هذه اللحظة المهمة.

فتح أوكينو الباب الأمامي للبيت فانطلقت أصوات كثيرة قائلة: «هنيئًا لكم». إنهم أهالي البلدة. تجمَّع عشرة أفراد تقريبًا ووقفوا أمام البوابة.



- أوه!

دهشت كيكي ولم تسعفها الكلمات.

- هل كنتم على علم برحيلها؟

خالط صوتَ كوكيري بحةٌ تأثرًا.

- أجل، لن نترك صغيرتنا كيكي ترحل دون أن نودعها.

- كما أن هذا أمر يستدعي الاحتفال.

هكذا تحدث الجميع في صوت واحد.

- عودي إلينا يا كيكي ودقي الأجراس من حين إلى آخر!

- ننتظر حكاياتك من هناك.

وكان بين الأصوات أصوات صديقات كيكي.

أخيرًا استطاعت كيكي أن تقول:

- كم أنا سعيدة، أشكركم جميعًا.

ثم حضنت جيجي ربما لتخفي ملامح التأثر على وجهها.

نظر أوكينو عاليًا وقال بصوت هامس:

- أنا مسرور بأن الطقس معتدل بلا أمطار.

وبعدما تبادلوا الوداع مرة تلو الأخرى، علّقت كيكي المذياع على المقشة أمامها، وأجلست جيجي في الخلف وطارت. التفتت كيكي إلى الوراء بعدما ارتقت المقشة في الهواء لمسافة قصيرة، وودعت كوكيري.

- كوني بخير يا أمي.

لأنها عرفت أنها لو اقتربت في طيرانها من أمها، لبكت كلتاهما.

لاحقها تأنيب كوكيري المعتاد:

- احذري، احذري، لا تلتفتي إلى الخلف.

ومع تلك الكلمات ضج أهل المدينة بالضحك. فاطمأنت كيكي، لأن أمها لم تغير عاداتها حتى في هذا الحدث المميز.

- الوداع.

صرخت كيكي مرة أخرى بصوتٍ عالٍ ثم ارتفعت دفعة واحدة إلى الأعلى. واستطاعت أن ترى أكف الجميع الملوحة لها ثم اختفت تلك الأيادي شيئًا فشيئًا. وبدأت أنوار البلدة بالوميض، كأن نجوم السماء قد انقلبت رأسًا على عقب. وتعلق البدر في السماء كامل الاستدارة كأنه يحمي كيكي. في النهاية، خبت أنوار البلدة وبات ما تراه تحت عينيها جبالًا فقط أشكالها تشبه حيوانات شديدة السواد.

لكزها جيجي من خلفها قائلًا:

- قرري بسرعة إلى أي اتجاه نذهب.

- مهلًا...

نقّلت كيكي في عجلة نظرها في الجهات الأربع.

- الجنوب، أريد الذهاب إلى الجنوب. سمعت قبلًا أن المرء يصل إلى البحر إذا اتجه جنوبًا، وأنا أريد رؤية البحر ولو لمرة واحدة في حياتي، هل توافق يا جيجي؟



- هل يمكن أن أرفض؟

- لا تفعل أرجوك.

صرخت كيكي وهي تهز المقشة قليلًا.

- لماذا تسألني إذن؟ ولكن أرجو ألا يلتبس عليكِ الأمر، فنحن نبحث عن مدينة وليس عن بحر.

- حاضر، طلباتك أوامر. حسنًا، الجنوب ... أين الجنوب؟

أدارات كيكي عينيها يمينًا وشمالًا ثم قالت باطمئنان:

- عرفته، إنه في هذا الاتجاه. يستحيل أن يكون خطأ فالقمر على يسارنا.

ثم صفرت بفمها مرة وراحت تزيد من سرعة طيران المقشة. وزادت قوة الرياح التي تصطدم بهما، فبدأت خصلات المقشة تُصدر صوتًا كتيار نهرٍ جارٍ. من حين إلى آخر، كانت ترى أنوارًا متفرقة بين الجبال السوداء، وترى أحيانًا حقولًا رمادية. ولكنها تمر بها في لحظات خاطفة، ثم تعاود الجبال ظهورها واحدًا تلو الآخر.

استمرت كيكي في الطيران أكثر وأكثر. ثم بدأت سماء الشرق تصطبغ بلون أبيض خفيف. وبدأ البياض يتمدد وينتشر سريعًا في السماء، كأنه يطارد الليل ليطرده. وهنا، أخذ العالم، الذي كان رماديًا وأزرق غامقًا، يتلون بألوان مختلفة. واكتست التلال بنباتات الربيع الخضراء الرقيقة، فبدت خفيفة كأنها تحاول الطيران في الهواء. بدأت الجبال الصخرية المدببة تلمع كأنها نُدّيت بالماء. وخفق قلب كيكي وتأثرت برؤية شعاع واحد من الشمس يغيّر العالم إلى هذا الجمال.

ظهرت قرية صغيرة في وادٍ ضيق، تصاعدت منها أبخرة المداخن. وبعد برهة لمع شيء من بين الجبال، وبدأ نهر رفيع يظهر للعيان. كان يتوارى مرة ويظهر أخرى، ثم تحول شيئًا فشيئًا إلى نهر عملاق.

- لِنَطِر بمحاذاة ذلك النهر. يُقال إن كل نهر يصب في البحر.

أدارت كيكي مذياعها وبدأت تصفر بفمها مع الموسيقى المتدفقة منه. ودفعت الرياحُ المقشةَ من الخلف، فواصلت طيرانها بقوة واندفاع.

قالت كيكي كأنها تُحدّث نفسها:

- لقد قالت أمي ما قالته عن قسوة المدن الكبرى، ولكنني أكره المدن والقرى الصغيرة.

- أي المدن أحسن إذن؟

رفع جيجي صوته عاليًا حتى لا يذهب صوته أدراج الرياح والموسيقى.

- دعني أفكر. أفضل أن تكون مدينة أكبر من مدينة أمي، فيها بنايات عالية، وحديقة حيوانات ومحطة قطار تدخل إليها القطارات البخارية وتخرج منها. وأن تكون فيها مدينة للملاهي أيضًا. ما رأيك أنت يا جيجي؟

- أنتِ طماعة جدًا. أمّا أنا، فأريد سقفًا تسطع عليه الشمس، ونافذة تصب عليها أشعة الشمس، ودهليزًا تصل إليه الشمس...

- هل تشعر بالبرد؟

- أجل، قليلًا.

- اقترب مني إذن. يجب ألا تخجل من إخباري بذلك. منذ اليوم لن يكون معنا أحد.

وحملت كيكي جيجي الذي تسلق ظهرها ثم وضعته فوق ركبتيها.

مد جيجي عنقه فجأة وقال:

- كيكي، ما رأيك في هذه المدينة؟

كانت المدينة تحتهما مباشرة تأخذ شكل صحن مدوّر تحيط بها روابٍ خضراء جميلة من كل جانب، ومن الأعلى، بدت الأسطح الملونة بالبرتقالي والأخضر شبيهة بحساء الجزر والبازلاء.

قالت كيكي:

- جميلة.

فقال جيجي كأنه خبير متمكن:

- مدينة كهذه تصلح للسكن. أنا متأكد.

- ولكنها صغيرة جدًا.

ثم صاحت كيكي فجأة وهي تشير بإصبعها:

- ما هذا الذي هناك؟ انظر!

كانت تشير إلى نقطة سوداء في السماء البعيدة جدًا كأنها قادمة نحوهما. وعندما أمعنت كيكي النظر وجدتها ساحرة تطير واضعة قطة سوداء فوق كتفها. ولكنها تبدو كمن يروض فرسًا حرونًا ينطلق بها في طيران مختل التوازن.

- دعنا نذهب لنرى.

توجهت كيكي إلى الأسفل بزاوية انحناء كبيرة.

- أوه.



عندما رأت تلك الساحرةُ كيكي أوسعت حدقتي عينيها وهي تطير بحركات عنيفة بلا توازن. وبدت أكبر عمرًا من كيكي، كأنها أختها الكبرى.

- هذا أمر نادر الحدوث، لم أقابل زميلة في المهنة منذ وقت بعيد. من أين أتيتِ؟ أوه، هل لي أن أخمن أن اليوم هو أهم أيام حياتك؟

- أجل، إنه كذلك، لقد بدأت رحلتي هذه الليلة. هل يبدو عليَّ ذلك؟

قالت كيكي ذلك وجعلت مقشتها تطير بمحاذاتها.

- إنه أمر في منتهى الوضوح. تلبسين فستانًا جديدًا وأنيقًا وترتسم على وجهك علامات الخوف والترقُّب. لقد كنتُ في مثل حالتك تلك.

- أحقًّا؟ هل أبدو قلقة؟ رغم أنني هادئة تمامًا.

ثم ضحكت كيكي ضحكات مكتومة وسألت:

- متى كان رحيلك؟

- سأتمُّ عامًا قريبًا.

- ما رأيك في تلك المدينة؟ أشارت كيكي إلى الأسفل.

- اعتدتُها بعد جهد جهيد.

قلقت كيكي قليلًا فنظرت إلى الساحرة الأخرى عن قرب وسألتها:

- هل كانت سنة عصيبة؟

رفعت الساحرة الأكبر سنًّا عنقها في فخر وقالت:

- أرى أنها لا بأس بها.

وبرزت غمازتان على جانبي وجهها المستدير فباتت ملامحه لطيفة.

تذكرت كيكي ما قالته أمها كوكيري عن «الوجه المبتسم».

- إذن ماذا تعملين لكسب قوت يومك؟

- منجِّمة. أنا وهذه القطة التي تُدعى بوبو. لأنني أستطيع معرفة مشاعر البشر إلى حد ما. واشتهرت بين الناس بتحقق نبوءاتي. ربما كانت مجاملة، لأن أهالي هذه البلدة ودودون.

- هذا جيد. قريبًا ستزورين مسقط رأسك، أليس كذلك؟

- بلى. إنه كذلك. أشعر بالرضا التام لأنني سأعود مرفوعة الرأس. ولكن المرء يمر بأوقات عصيبة أحيانًا.

- أدرك هذا، يبدو أن مقشتك تكسرت.

- ها هاها. كلا، الأمر مختلف. أنا لا أجيد الطيران. ولكن إذا لم أمارس الطيران من حين إلى آخر، فلن يعرف أحد أنني ساحرة، أليس كذلك؟ وهذا أيضًا من الأمور الصعبة، على الرغم من نجاحي في رحلة النضج. اليوم طُلب مني رؤية بقرة في مزرعة على الجهة الأخرى من الجبل، فخرجت منذ الصباح الباكر. رغم أن هذا ليس من التنجيم في شيء.

- أوه، تنجمين للبقرة؟

- وظيفة الساحرة عمل ما يطلب منها. ولكن تلك البقرة غريبة قليلًا فهي تشبه البشر. قبل أيام لم يعجبها الجرس المتدلي من عنقها وظلت ترفضه.

ضحكت كيكي وقالت:

- يا لها من مدللة!

- أو ربما تحب الموسيقى! غيَّروا الجرس وظلوا يغنون بجوارها بعض الأغاني فتحسنت حالتها. إن زوجة مالك تلك البقرة تعطيني جبنًا لذيذًا جدًّا أجرًا لي، عندما أشويه في الفرن يمتط ويتمدد طويلًا طويلًا. أتشوق اليوم إلى أخذه.

- يا لحسن حظك، لقد نجحت في حياتك.

- أنت أيضًا ستكونين على ما يرام. فأنت جميلة وظريفة مثلي تمامًا. وتبدين ذكية مثلي أيضًا. صحيح أنك ماهرة في الطيران ومفرطة النشاط والحيوية، ولكن اجتهدي في حياتك. سوف أرحل إذن لأنني على عجل.

لوَّحت الساحرة الأخرى بيدها مودعة وابتعدت وهي على الحال نفسها من الجموح

والقلقلة في الطيران.

فقال جيجي بصوت خافت:

- يبدو أنها انتهزت الفرصة للتباهي بنفسها.

- ولكنها مدحتني.

- حقًا؟ ولكن قطها تجاهلني تمامًا ولم يلقِ التحية، بل بدا متعجرفًا كبير السن والمقام.

- أوه، يا لك من خجول يا جيجي! هل أردت التحدث إليه؟ في هذه الحالة أنت الذي وجب عليك إلقاء التحية.

- كلا مطلقًا إنني...

ثم خرخر جيجي.

- حسنًا، أما أنا فيجب عليَّ التفكير في حالي.

زادت كيكي من سرعتها ثم انعطفت إلى اليمين واستمرت في الطيران.

استمرت كيكي تطير وتطير. ومرت بعدة مدن وقرى لطيفة المنظر، وكلما ألحَّ عليها جيجي بقوله: «ما رأيك لو أسرعت في اتخاذ القرار؟» كررت كيكي قولها: «حتى نبلغ البحر». ثم تعود إلى تكرار الكلام نفسه: «بقي القليل، القليل فقط».

أخيرًا بدأت الجبال تضمحل وبدلًا منها بدأت تظهر الحقول والقرى والمدن واحدة بعد أخرى. وأضحى النهر أكثر اتساعًا وازداد عرضه وأخذ يتدفق وهو يلتوي في التواءات كبيرة. وعكست المياه صورة صغيرة لكيكي وجيجي فظهرا كأنهما سمكتان تسبحان في النهر.

رفع جيجي صوته:

- أوه، أليس هذا هو البحر؟!

نظرت كيكي المشغولة بما تحتها، فرأت على مبعدة خطًّا رفيعًا لامعًا يفصل بين السماء الزرقاء والبحر.

- بلى، إنه البحر، لا شك في ذلك. لقد لمحته سريعًا يا جيجي.

فقال جيجي بعدم رضًا:

- يبدو كأنه بِركة مياه كبيرة فقط.

- ولكنه رائع، ألا ترى روعته؟

رفعت كيكي صوتها جذلة وهي تتأمل ما تستطيع عيناها رؤيته من أقصاه إلى أقصاه، ثم انتبهت فجأة إلى المدينة الواقعة عند ملتقى النهر بالبحر.

- أوه، هذه مدينة! أوه، وهذا جسر كبير!

ثم هتف جيجي معها في الوقت نفسه:

- أوه، وهذا قطار بخاري! لنذهب لرؤية المدينة في الحال.

زادت كيكي من سرعتها أكثر وأكثر. وعندما اقتربت، كانت المدينة أكبر مما توقعته بكثير. فقد ارتفعت فيها مبانٍ كثيرة عالية مربعة ومثلثة تخترق السماء في شموخ. أدارت كيكي بصرها في حركة دائرية ثم قالت بصوت منفعل ونشيط:

- لقد أخذت قراري.

- ألا ترين أنها أكبر من اللازم؟ ألم تقل السيدة كوكيري ابتعدي عن المدن الكبيرة الصاخبة؟

بدا القلق على جيجي قليلًا.

- ولكنني أعجبت بهذه المدينة. انظر إنه برج ساعة!

أشارت كيكي إلى برج ساعة عالٍ يقع في منتصف المدينة تقريبًا، ويرتفع عاليًا كأنه سلم يرتقي إلى السماء.

- تخيَّل لو أمسكتُ به وأخذت أدير هذه المدينة كالخذروف، يا لها من متعة! يمتد ظله إلى هذه المسافة كأن المدينة كلها ساعة شمسية.

لمعت عينا كيكي وهي تختلس النظر إلى ما تحتها.

- يا لسحر كلماتكِ الرائعة! ولكن أليس في هذه المدينة ساحرة مثل المدينة السابقة؟

- لا يمكن معرفة ذلك بدون أن نهبط إليها ونسأل.

وجهت كيكي مقبض المقشة إلى أسفل بزاوية ميل كبيرة. ثم هبطت ببطء إلى طرقات المدينة.

وتصادف في ذلك الوقت بالضبط أن طرقات المدينة كانت صاخبة بالمارة الذين خرجوا للتبضُّع بعد الظهيرة. هبطت كيكي بهدوء بكلتا قدميها على الطريق المفروش بالأحجار ثم

توقفت، فدهش الجميع ووقفوا يتأملونها. منهم من أصابه الخوف فتجنبها ومنهم من تستَّر خلف شخص آخر. وسرعان ما تحلق حولها جمع من الناس. ارتبكت كيكي ونزلت من المقشة ثم وضعت جيجي فوق كتفها ورسمت ابتسامة لطيفة على وجهها وقالت:

- أهلًا. أنا... الساحرة كيكي.

- أوه، هل أنت ساحرة؟! هذا شيء نادر الآن.

أخذت إحدى العجائز تحرك نظارتها الطبية وهي تحدق إلى كيكي.



- حقًّا؟ هذا يعني أن المدينة لا تعيش بها ساحرات حاليًا، هذا جيد. أنا الساحرة كيكي وهذا القط الأسود جيجي. أرجو أن تسمحوا لنا بالبقاء هنا.

قالت كيكي ذلك ثم ألقت نظرة على من حولها وانحنت بأدب.

فتدخل رجل في الحديث قائلًا:

- البقاء هنا؟ هل تعنين مدينة كوريكو هذه؟

ثم قالت إحدى النساء:

- مَن قرر هذا؟ عمدة المدينة الجديد؟

وهنا نظر كل منهم إلى وجه جاره وبدؤوا يتبادلون أحاديث منفردة:

- هل وجود ساحرة في المدينة أمر مفيد لنا؟

- ألا تعتقد أن الطيران في السماء مريب في هذا العصر؟

- كان وجود ساحرة واحدة على الأقل في كل مدينة أمرًا مفضلًا في الماضي، ولكن عدم وجودهن لا يضر أيضًا.

- أمي، هل الساحرة هي من تعمل السحر؟ يبدو أمرًا مشوِّقًا.

- كلا، مطلقًا! بل تعمل أشياء مرعبة.

- مستحيل، أتخططين لأمر شرير؟

بدأت كيكي تشعر بضيق في صدرها لسماعها تلك الكلمات القاسية تنهمر عليها واحدة إثر أخرى. غير أنها شجعت نفسها بالقول: ابتسمي! ابتسمي! وأخذت تفكر في ماذا تقول.

- أريد أن تسمحوا لي بالعيش في مدينتكم. فهي مدينة جميلة وبرج الساعة أيضًا رائع.

- إعجابك بمدينتنا أمر لا غبار عليه ولكن...

- نحن نرفض التورط في المشاكل.

- افعلي ما شئتِ.

بعد أن انتهى كل منهم من الحديث كما يحلو له وارتاحوا، أخذوا يتفرقون، ثم اختفوا في طرقات المدينة.

تلاشى حماس كيكي تمامًا، وتبددت حيويتها ونشاطها. لما سمعت بعدم وجود ساحرة ظنت أن الجميع سوف يرحب بها ترحيبًا حارًّا ويعاملها معاملة جوهرة نادرة. وشعرت بأنها ستتهاوى، فهي لم تأكل شيئًا منذ الصباح إلى جانب إرهاق الطيران المستمر بلا توقف.

كان أهالي البلدة التي وُلدت فيها كيكي سعداء بالعيش مع ساحرة ويقدِّرون أسرتها قائلين إن الساحرة مثل زيت تروس الساعة، ووجودها يبث النشاط والحيوية في المدينة.

ويأتي أحد من أهل البلدة كل يوم حاملًا شيئًا من طعامه اللذيذ قائلًا: «هذا نصيبكم». وكانت عائلة كيكي ترد بالمثل طبعًا، فتقاسمهم كوكيري أدوية العطاس التي تصنعها، وتعلمهم أسماء الأعشاب الطبية التي تُستخدم من قديم الزمان، وتلعب لعبة الخيوط مع عجائز البلدة اللائي يسكنَّ بمفردهن، وتطير بالمقشة لتوصيل المفقودات لأصحابها. كان التعايش بين الجانبين قائمًا على التكافل والتراحم.

منذ وُلدت وهذه هي الحال دائمًا، ولكن أن يُقال لها فجأة: «افعلي ما شئتِ» في مدينة تزورها لأول مرة، بل وقد بدأت رحلة النضج منذ قليل! وجدت نفسها في حيرة شديدة؛ كيف تعيش في هذه المدينة «كما تشاء»؟

ابتعدت كيكي عن الطريق، وبدأت تسير حزينة متكئة على مقشتها. فهمس في أذنها جيجي الذي ما زال على كتفها:

- المدينة الكبيرة لا تناسبنا، كما قالت السيدة كوكيري.

تعمدت كيكي الإيماء ببطء كي لا تنهمر الدموع من عينيها. ثم همست وهي تمسح على ذيل جيجي:

- ماذا نفعل إذن؟

هز جيجي ذيله مبالغًا في حيويته وهو يقول:

- سيكون كل شيء على ما يرام، بالتأكيد.

سيحل الليل بعد قليل. وظل الطعام الذي صنعته كوكيري كما هو لم يُمس. ولكن تُرى أين يمكنهما المبيت؟ فهل سيرضى أي نُزُل في المدينة أن تبيت فيه ساحرة إذا ما توفر عندها المال لذلك؟ لقد فقدت كيكي ثقتها بنفسها، وأخذت تتسكع في الطرقات بغير هدى.

فجأة صاح جيجي بصوت عالٍ لتشجيعها:

- تبًّا! لقد تدهور حال الساحرات. لو حدث ذلك في الماضي لَمَا مرَّ الأمر بسلام. كانت الساحرة ستحمل هذا البرج وتلقي بالمدينة على قمة جبل من الجبال.

ولكن كيكي التزمت الصمت وهزت كتفها في لامبالاة. وأثناء سيرها وهي لا تدري أين ولا كيف سارت، وصلت كيكي إلى طريق ضيق. وتبدلت الأبنية من عمارات شاهقة إلى بيوت صغيرة تصطف متكئة بعضها على بعض. وفي غفلة من الزمن غربت الشمس، وأخذت المحلات الواقعة على الجانبين تستعد لإنزال مصاريع أبوابها. وتردد من الجانب الآخر للنوافذ صدى قرقعة أطباق وضحكات، يبدو أنهم يتجمعون حول مائدة العشاء.

سمعت كيكي فجأة صوتًا نسائيًا حادًّا قادمًا من مخبز أمامها، أُنزل مصراع بابه إلى النصف فقط.

- ما هذا؟! يا للسيدة أوكونو! لقد نسيت شيئًا مهمًّا، عليك توصيل هذا لها.

توقفت كيكي عن السير مظنة أن الحديث موجه إليها. وحينئذ سمعت صوت رجل يرد:

- ما هذه المبالغة؟ شيء مهم! ليست إلا سكّاتة الرضيع. فهي لم تنسَ الرضيع نفسه، أليس كذلك؟ إنني الآن ذاهب إلى اجتماع. سأهرع في الصباح الباكر لتوصيلها على وجه السرعة.

- أقول ذلك لأننا في مأزق فهي زبونة دائمة ومهمة لنا. إنها تتجشم عناء حمل طفلها الرضيع وتأتي من مكان بعيد لشراء خبز الزبد. تقول: «ليست إلا» سكّاتة رضيع، ولكنها في نظره في منتهى الأهمية، كالغليون في نظرك. لن يتمكن هذا الطفل المسكين من النوم الليلة. لا عليك، سأذهب أنا لتوصيلها.

انحنت السيدة التي تبدو زوجة الخبّاز من تحت مصراع الباب وخرجت أمام المخبز، فلاحقها صوت الرجل من الداخل:

- مهلًا، لا يمكنك أن تفعلي وأنت في هذه الحال! لا يجدر بك أن تعبري النهر الكبير.

وعندما نظرت كيكي إلى الزوجة، وجدت بطنها كبيرًا، كأن الجنين سيُولد في الحال، وقد أحكمت قبضتها على سكّاتة من المطاط.

التفتت الزوجة إلى الخلف وقالت:

- هل يعني ذلك أنك ستذهب لتوصيلها؟

- غدًا، بالتأكيد.

- أف!

فرفعت الزوجة ذقنها وقالت حازمة:

- أنت أيضًا ستصير أبًا قريبًا. يا ويلي لو صرتَ أبًا بائسًا هكذا ...

ثم حضنت بطنها البارز بكلتا يديها وبدأت السير. فاهتز كتفاها بعنف وتقطعت أنفاسها.

- معذرة!

لحقت بها كيكي دون تردد ثم وجهت إليها الحديث:

- أستطيع توصيلها بدلًا منك إن لم تمانعي. ما رأيك؟

التفتت الزوجة إلى الخلف ثم رجعت خطوتين أو ثلاث خطوات. وأخذت تعاين كيكي من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.



- أنت فتاة جميلة، ومع ذلك تلبسين فستانًا أسود وتحملين مقشة! هل أنت منظفة مداخن؟

فأجابت كيكي في ترقب وتردد:

- كلا، أنا... في الحقيقة أنا ساحرة. وصلت إلى هذه المدينة منذ قليل.

فعاينت الزوجة كيكي مرة أخرى.

- أوه، ساحرة؟ هوه، هل أنت ساحرة؟ لقد سمعت عن الساحرات ولكن هذه أول مرة أرى إحداهن بعيني.

تنفست الزوجة بعمق وهي تهز كتفيها.

- لا تمثلين دور الساحرة قطعًا؟

هزت كيكي رأسها فورًا:

- كلا، أنا ساحرة حقيقية، ولذلك سهل جدًا عليَّ توصيل الأشياء. أرجو منك أن تسمحي لي بمساعدتك.

قالت كيكي ذلك بأدب بالغ.

- ساحرة حقيقية؟ ولكن المكان بعيد إلى حد ما، ألا تمانعين؟

- أجل، لا بأس مهما كان المكان بعيدًا. ولكن ليس في اتجاه الشمال، ليس إلى القطب الشمالي، أليس كذلك؟ فستاني خفيف ولا أملك عباءة كما ترين.

انفجرت الزوجة ضاحكة.

- إنك تعجبينني، حسنًا، هل ستوصلينها حقًا؟

- أجل بالتأكيد.

ضحكت كيكي وأومأت موافقة. ولكنها قلقت فجأة فسألتها:

- المعذرة يا سيدتي!

- أوه! سيدتك؟ إنهم ينادونني بالخبَّازة أوسونو.

- حسنًا يا سيدة أوسونو سأذهب تحليقًا في السماء، ألا تمانعين؟

- يا لها من مبالغة، لا حاجة إلى ركوب الطائرات!

- كلا، سأركب هذه المقشة.

- ماذا؟!

أمالت السيدة أوسونو رأسها وهي تفتح فمها وتغلقه في حركات متتالية. ثم همست لنفسها قائلة:

- إن اليوم هو يوم الغرائب.

ثم هزت رأسها عدة مرات وقالت:

- إنني لا أمانع أن تكوني ساحرة أو فزاعة، ولا أمانع إن ذهبت طيرانًا أم ذهبت سباحة. فأنا لا أحب الأحاديث المعقدة. المهم هو توصيل سكّاتة الرضيع.

- لقد أراحني قولك هذا كثيرًا.

رسمت كيكي ابتسامة كبيرة على وجهها. وهز جيجي ذيله هزة قوية فوق كتفها مبديًا الاستئناس.

- ما دمنا اتفقنا، فأرجو منك الإسراع.

قالت أوسونو ذلك وهي تبحث في جيب مئزرها:

- سوف أرسم لك خارطة على الفور. لا يعني ما سأقوله أنني لا أثق بك، ولكن إذا أوصلتِ السكّاتة فدعي أم الرضيع توقّع لك على هذه الخارطة. إن فعلتِ ذلك سأرد لك الجميل.

فصرخت كيكي كأنها تتحدث مع إحدى صديقاتها:

- أوه، يا لحظي!

ثم تسلمت منها الخارطة والسكّاتة وامتطت المقشة فورًا وركلت الأرض بقدميها

وطارت عاليًا.

- أوه، إنها ساحرة حقيقية فعلًا!

سمعت كيكي صوت أوسونو المدهوش كأنه يلاحقها.

أوصلت كيكي السكّاتة بأمان، فشكرتها أم الرضيع عدة مرات قائلة: «لقد أنقذتِنا» وعندما وضعتها في فم الرضيع الذي كان يصرخ باكيًا بأعلى صوته، ابتسم ابتسامة رضًا.

طارت كيكي في السماء متوجهة إلى الخبازة، وهي تشعر بمشاعر رائعة.

وتبدد الحزن الذي انتابها منذ قليل، وأثلج صدرها قول والدة الرضيع: «لقد أنقذتِنا». قالت كيكي لجيجي الذي تشبث بظهرها:

- إنني بخير، لذا اطمئن أنت أيضًا يا جيجي.

خرخر جيجي.

- أحسستُ بالجوع فجأة.

- وأنا أيضًا.

مدت كيكي يدها وربتت على ظهر جيجي ثم واصلت الحديث:

- دعنا ننتهي مما نحن فيه، ثم نذهب إلى ظل شجرة ونأكل الوجبة التي أعدتها لنا أمي. ولكن القليل فقط. فيجب الاقتصاد والأكل بحرص. لقد ساعدنا ضوء البدر المنير كثيرًا، أليس كذلك؟

كانت الخبّازة أوسونو تقف في المكان نفسه كما تركتها كيكي، تنظر عاليًا نحو السماء فاغرة فاها. وعندما هبطت كيكي على الأرض بهدوء، انقضت عليها قائلة:

- الطيران في السماء مفيد جدًا. أرجوك، علميني الطريقة أنا أيضًا.

- هذا مستحيل. لا يستطيع الطيران من لا تجري في عروقه دماء الساحرات.

صرخت أوسونو في أسًى:

- أحقًا ما تقولين؟ ولكن لا يمكن القطع بأنها لا تجري في عروقي. ما رأيك؟ ألا أبدو ساحرة؟

أبعدت أوسونو يديها عن بطنها ومدتهما في الهواء ورفرفت بهما كأنهما جناحا طائر.

نظرت كيكي إلى الأرض وكتمت ضحكاتها.

- للأسف، يبدو أنك لستِ ساحرة.

- للأسف؟ كيف عرفتِ ذلك؟

- نوعًا ما.

- آه، أمر ممل. ولكنني فعلًا لم أسمع مطلقًا أن جدتي ولا حتى جدة جدتي كانت ساحرة. أوه لقد نسيت، ماذا حدث للرضيع؟

أعطتها كيكي الخارطة وعليها توقيع أم الرضيع وقالت:

- كان يبكي، ولكن بعد إعطائه السكَّاتة بات منشرح البال وابتسم. لقد أسعدني ذلك جدًّا.

- هذا جيد. بالمناسبة يجب أن أعطيك جزاء ما فعلتِ أيتها الساحرة.

- ناديني كيكي من فضلك. كلا، كلا لا ضرورة لإعطائي أي شيء. يكفي أنني تعرفت على امرأة طيبة مثلك. فقد وصلت هذه المدينة لتوي.

- أوه، أنت فتاة بلا أطماع.

ثم ذهبت إلى المخبز وجاءت حاملة خمسة أرغفة من خبز الزبد وأعطتها لها قائلة:

- آسفة أنها بواقي خبز اليوم.

- أوه يبدو شهيًا جدًّا. حسنًا سأقبله منك شاكرة.

بدا صوت كيكي متأثرًا رغمًا عنها، ثم أخذت الخبز وانحنت بأدب جمٍّ وأوشكت على الرحيل.

أوقفتها أوسونو قائلة:

- انتظري أيتها الساحرة، آه، قلتِ اسمك كيكي. لقد قلتِ إنك وصلت إلى هذه المدينة لتوك، أليس كذلك؟ أين ستقيمين الليلة؟

التفتت كيكي إلى الخلف وحضنت جيجي ثم نظرت إلى الأرض في حزن.

- ....

- مستحيل، لا تقولي إنك ليس لديك مكان للمبيت.

- ....

- لماذا لم تخبريني بهذا الأمر قبلًا؟ يمكنك أن تبيتي في الطابق العلوي لمخزن الطحين. إنه صغير جدًا ولكنّ فيه سريرًا، وفيه ماء.

فصرخت كيكي بلا تفكير وهي تحتضن جيجي:

- أوه، أحقًا ما تقولين؟

- إذا لم يعجبك، فسأبحث لك عن مكان أفضل.

- كلا، مطلقًا. لقد أنقذتِني. في الواقع كنتُ في مأزق. ولكن هل حقًا يمكنني المبيت؟ إنني ساحرة. ويبدو أن الناس في هذه المدينة لا يحبون الساحرات.

- ولكنني أُعجبتُ بكِ. اطمئني. ربما تكون استضافة ساحرة في بيتنا أمرًا لطيفًا نوعًا ما.

وضعت أوسونو يدها على ذقن كيكي التي اعتراها الحزن مجددًا ورفعته عاليًا ثم غمزت لها.

بدا المخزن المجاور للمخبز أبيض يغطيه الطحين من كل جانب. أكلت كيكي وجيجي وجبة الطعام في أمان، ثم أخلدا إلى السرير وهما في تعب شديد.

- أخشى أن أتحوّل في الصباح إلى قط أبيض.

أدار جيجي النظر إلى أنحاء جسمه ثم عطس عطسة خفيفة.

- ولكن يا جيجي، ألا تطلع الشمس التي تعشقها على هذه النافذة؟

كانت كيكي هانئة البال. فها هو اليوم الأول من رحلة نضجها على وشك أن ينتهي بعد سفر طويل.

سألها جيجي:

- ما رأيك يا كيكي، هل ستبحثين غدًا عن مدينة أخرى؟

- كلا. لقد قررت البقاء في هذه المدينة لبعض الوقت. لم ألقَ الترحيب الذي انتظرته، ولكن ألم تُعجب الخبّازة بي؟ ربما يعجب بي شخص آخر أو شخصان، ألا ترى ذلك؟

- بلى، أرى ذلك. ربما ثلاثة أشخاص.

قال جيجي ذلك ثم أخذ يشخر من منخاره أنفاسًا نائمة في هدوء.

الفصل الرابع

كيكي تفتتح محلا

مرت اليوم ثلاثة أيام على وصول كيكي إلى مدينة كوريكو هذه.

قالت لها الخبازة أوسونو:

- اِبقيْ هنا ما شئتِ.

فانتهزت كيكي هذه الفرصة، وظلت تميل إلى الانعزال داخل مخزن الطحين. لم تكن شهيتها مفتوحة على الطعام، فكانت تأكل قليلًا من الوجبة التي أعدتها لها أمها كوكيري بالإضافة إلى ما تعطيه لها أوسونو من خبز الزبد، وقضت كل هذا الوقت جالسة في شرود على حافة السرير. وربما انتقلت عدوى تلك الحالة إلى جيجي، فظل هو الآخر ملتصقًا بها تمامًا لا يفارق المكان.

احتاجت كيكي إلى الخروج لشراء الطعام اليوم، لكنها لم تستطع الخروج من المخزن. وكلما تناهى إليها ضجيج المدينة الذي لا ينقطع، ورأت من النافذة المارة المشغولين وهم يسيرون في عجلة، أصابها خوف لا يُعرف له سبب. إذ خُيِّل إليها أن كل شيء في هذه المدينة يتحرك من دون أي مبالاة بها. عندما أوصلت السكَّاتة إلى الرضيع في تلك الليلة، شعرت بقليل من الثقة بأن أمورها ستسير على ما يرام، لكنها تحطمت أشلاء في صباح اليوم التالي.

طوال الصباح رددت كيكي أعذارًا وحججًا في ذهنها، دون أن تكتمل في جملة مفيدة.

- لأن... فأنا... من أجل ذلك...

تستطيع أن تعيش هكذا في هذا المدينة متظاهرة بأنها إنسانة عادية. وإن لم تستطِع فلا مانع من أن تعود إلى بيت والديها متحملة مشاعر الخجل. وعندئذ ستكون كالحلزونة التي تختبئ في صدفتها طوال حياتها. ورغم أسفها على الحلزونة، فإنها لا تريد حياة كهذه.

تأملت كيكي مقشة كوكيري التي أسندتها إلى الحائط في ركن الغرفة، وهي تضع يدها على قلبها المهموم. (لا فائدة من هذا. يجب أن أعثر على ما أستطيع عمله. فأنا ماهرة في الطيران. أجل، قالت أمي إن الناس في المدينة الكبيرة مشغولون جدًا، وأنا الآن في مدينة كبيرة. وربما لا يجد الكثير من الناس الوقت لقضاء حاجاتهم بسبب أشغالهم الكثيرة).

بدأ قلب كيكي ينشرح قليلًا أثناء تفكيرها في هذا. فذهبت إلى السيدة أوسونو لتستطلع

رأيها وتشاورها في الأمر.

لم تفهم أوسونو جيدًا فسألتها:

- توصيل... تعنين خدمة نقل الأمتعة؟

- نعم، لكني لن أوصل أثاث البيت، بل أشياء صغيرة متنوعة. أن يُطلب مني مثلما يُطلب من بنت الجيران الصغيرة.

- إممم... ربما كانت فكرة جيدة. ها هاها. وإذا فكرنا في الأمر، فسأحتاج مساعدتك أنا الأخرى. بعد ولادة طفلي، لن أستطيع الخروج لشراء أبسط الأشياء. جميل. هذه فكرة رائعة. فكرة جيدة جدًّا.

ظلت أوسونو تتحدث وهي تميل نحوها قليلًا .

- ولكن سيصعب تحديد الأجر إذا كانت المحمولات صغيرة. فما الذي تنوين فعله؟

- إذا كان الأمر كذلك، فلا مانع من إعطائي نصيبًا بسيطًا.

فسألتها أوسونو مرة أخرى:

- ماذا؟ ما هذا؟

- نصيب. نحن الساحراتِ نعيش اليوم بهذه الطريقة. نفعل ما نستطيع لخدمة الناس، وفي المقابل يعطينا الناس نصيبًا بسيطًا مما معهم. ونطلق على ذلك «تبادل المنفعة».

كانت كيكي تقلد طريقة أمها في الكلام من دون أن تنتبه.

- أتذكر أنني سمعت هذا من قبل. ولكنه لن يكفي وحده، أليس كذلك؟

- بل يكفي، فنحن الساحراتِ لا نحتاج إلى الكثير. نلبس القليل ونأكل القليل، ويمكننا تدبر وضعنا بأقل القليل.

فقالت أوسونو منبهرة:

- إذا كان الأمر كذلك، فالأفضل افتتاح محل.

- أجل، ولو كان محلًا صغيرًا. يكفي تعليق لافتة كتب عليها «المرسال» مثلًا.

- ما رأيك في هذا المكان إذن؟ الطابق السفلي من مخزن الطحين، بعد أن نرتب الأكياس في أحد الأركان.

- ماذا! هل تسمحين لي بذلك؟

- حسنًا، ربما كان المكان ضيقًا ولكن الأفضل في مجال الأعمال البدء بشيء صغير لتزداد المتعة كلما كبر بمرور الوقت.

أصابت أوسونو حالة من البهجة والسرور وكأنها مَن ستبدأ عملًا جديدًا.

- ما دمتِ اتخذتِ قرارك، فالأفضل لكِ أن تبدئي في الحال. ولكني أرى يا كيكي أن اسم «المرسال» غير مناسب، فقد يُظن أنه «المرساة». لقد سمعت في مكان ما بشيء يدعى «خدمة التوصيل السريع»، ويُقال إن التسمية جاءت من توصيل الأشياء إلى المنازل بأقصى سرعة. أجل! وأنتِ من سيقوم بذلك، لذا فلنضف اسمك «خدمات كيكي للتوصيل السريع»، أليس اسمًا رائعًا؟

- أتظنين إضافة اسمي فكرة جيدة؟

- يا لتواضعك! الأفضل أن يكون اسم المحل غريبًا ونادرًا. انظري إلى محلنا! «مخبز حجرة، مقص، معجنات» هذا أيضًا أحد أسرار التجارة.

أومأت أوسونو عدة مرات وهي تنظر إلى كيكي بثقة شديدة.

وفي اليوم التالي، وضعت السيدة أوسونو طفلة. فانشغلت كيكي بالمساعدة في المخبز والقيام بشؤون أوسونو ورعايتها. من أجل ذلك تأجلت تجهيزات المحل إلى وقت آخر. ثم مرت عشرة أيام تقريبًا، وجاء يوم افتتاح المحل.

فنظفت الحائط الأمامي الذي ابيضَّ بياضًا خفيفًا جرَّاء التصاق الطحين، وعلقت عليه اللافتة.

«خدمة كيكي للتوصيل السريع. نوصِّل أي شيء من الباب إلى الباب، أسرع من أي أحد آخر. رقم الهاتف: ١٢٣١٨١٨- كيكي».



توسطت لها أوسونو لكي تحصل على هذا الرقم سهل الحفظ. خرجت كيكي وجيجي عدة مرات لرؤية اللافتة. وفي كل مرة، تقول كيكي كأنها تُحدِّث نفسها:

- لقد بدأنا بالفعل، ولا جدوى من القلق والخوف.

- حقًّا. من يصدق إن رحلة النضج مشوِّقة وممتعة؟

حاول جيجي بكل جهده تشجيع كيكي.

وبات لدى كيكي كل ما تحتاجه لإدارة دكانها، والفضل في ذلك يعود إلى زوج السيدة أوسونو. فقد جمع أكياس الطحين التي كانت مبعثرة هنا وهناك في ركن من المخزن، وصنع لها مكتبًا من الألواح الخشبية والآجر قرب المدخل. ووضع عليه هاتفًا جديدًا، وعلّق على الجدار المواجه لها خارطة كبيرة لمدينة كوريكو. ثم زيَّنا العمود الأمامي، وهو أول ما يلفت نظر الداخل إلى المحل، بمقشة أمها الجميلة التي نظفتها، فباتت لامعة متألقة. فكرت كيكي بعمق وهي تنظر إلى تلك المقشة:

(حسنًا فعلتُ إذ لم أستخدم تلك المقشة الرفيعة الجديدة. فقد أرحت نفسي من القلق على حال المقشة، إلى جانب كثير من الأمور المقلقة الأخرى).

وعلى الرغم من افتتاحها الدكان، فقد مر أسبوع ولم يظهر ولو زبون واحد. عندما ذهبت كيكي لرؤية الطفلة قالت لها السيدة أوسونو بنبرة اعتذار:

- ربما لم تكن إضافة كلمة الساحرة إلى اسم المحل بالفكرة الصائبة. هذه غلطتي أنا. أعتذر لك. يبدو أن من الناس من يظن أن سحرًا سيلقى على المواد المراد توصيلها، فتتغير أو تضيع، رغم أن هذا الأمر لا يعقل وحدوثه مستحيل. ولو جربوا مرة، لأحبوا الفكرة. ليتني قادرة على الحركة، لفكرت في طريقة جيدة لمساعدتك.

- لا عليكِ. لا شك أنهم سوف يفهمون سريعًا.

ثم ابتسمت لها كيكي ابتسامة مرحة. وعادت من منزل السيدة أوسونو وجلست على مقعدها بلا حراك، حتى أنها نسيت تناول وجبة الغداء، وقالت لجيجي:

- إنني حزينة. لماذا يظنون أن الساحرات يفعلن أشياء شريرة؟

- لأنهم لا يعلمون حق العلم. وليس هذا بالأمر الذي نستطيع إصلاحه.

قال جيجي ذلك متظاهرًا بالنضج.

- هذا صحيح، إنهم يجهلون حقيقة الأمر. لم ترتكب الساحرات شيئًا شريرًا قط. ربما يفعلن أشياءَ غريبة.

- ولذلك يجب عليكِ إخبارهم. بعبارة أخرى، يجدر بك أن تعلني عن خدماتك.

- أعلن عن خدماتي؟ كيف يمكنني ذلك؟

- بأن ترسلي رسائل إلى أماكن مختلفة ربما.

- وماذا أقول فيها؟

- إنني ساحرة لطيفة، مثلًا.

- أوه، فكرة جيدة.

أخيرًا اصطبغ صوت كيكي بشيء من المرح.

- هل أبدأ في كتابة الرسائل إذن؟

نهضت كيكي وفتحت النافذة التي ظلت محكمة الإغلاق، فهب نسيم الربيع العليل، كأنه ينتظر هذه الفرصة. وعندما غمر النسيم وجه كيكي، أدركت أن قلقها قد تبدد. ونقّلت ناظريها إلى ما حولها ببطء، كأنها خُلد خرج لتوه من باطن الأرض ويرمش بعينيه من ضوء النهار. كانت نوافذ المنازل المواجهة لها مفتوحة، وستائرها مرفوعة، وتسطع عليها الشمس بقوة. فسمعت صوت مذياع يحمله النسيم، ثم سمعت صوتًا ينادي.

فجأة حطت عينا كيكي على نافذة في مبنى قريب. كانت شابة جميلة تلوح بيدها في حماس كأنها تقول تعالي، تعالي. وألحت في التلويح، فأشارت كيكي إلى نفسها تسألها: هل تقصدينني أنا؟ فأومأت المرأة تقول أجل. أجالت كيكي نظرها سريعًا لتعرف مكان النافذة. يبدو أنها نافذة تقع في الطابق الثاني من مبنى يبعد أربعة مبانٍ عن مكان كيكي.

فحملت مقشتها في يدها وفتحت الباب وهي تقول:

- سوف أذهب وأعود سريعًا. يبدو أنها تستدعيني. هل تأتي معي يا جيجي؟

فقفز جيجي إليها في صمت.

صعدت كيكي درجات السلم، وكان باب تلك الشقة مفتوحًا، فعرفتها كيكي على الفور. وداخلها وقفت امرأة النافذة أمام مرآة تعتمر قبعة حمراء، وتمسك بيدها حقيبة سفر سماوية اللون. وعندما انتبهت إلى وجود كيكي التي انعكست صورتها على المرآة قالت لها بلهفة:

- أسرعي بالدخول، هيا. لقد سمعت من الخبازة أنك توصلين الأمتعة. أليس كذلك؟

- بلى. نوعًا ما.

- وأنك تستطيعين الطيران في السماء.

- أجل.

خفضت كيكي نظرها، وخشيت أن تشكوها المرأة.



- وأنك تفعلين ذلك بمقابل بسيط.

أومأت كيكي في صمت.

- ولكنك جميلة. لطالما ظننت أن للساحرات أنيابًا وفي رؤوسهن قرونًا.

على العكس من كلماتها، بدا على وجه المرأة خيبة أمل وقليل من الملل. فكادت كيكي أن

تصرخ قائلة: «فظيع» ولكنها تمالكت نفسها .

- أوه، أعتذر لك فليس في هذه المدينة ساحرات، ولم يسبق لي أن رأيت ساحرة من قبل. وفي الحكايات تُوصف الساحرات أوصافًا بشعة جدًا. ولكن كم يعني المقابل البسيط هذا؟ لا بد أنه مبلغ كبير لأنك تطيرين في السماء.

- كلا، «بعض مما عندكم» فقط.

نظرت كيكي إلى الأرض في خجل مرة أخرى.

- «بعض مما عندكم»؟ ماذا تعنين بهذه الكلمة؟ أنا خياطة، أقصر أطراف التنانير وأطيلها.

التفتت المرأة لأول مرة إلى الخلف وقد تغضنت أرنبة أنفها، وأخذت تتأمل كيكي من أعلى إلى أسفل بإمعان. ثم فرقعت بلسانها وهي تعوج رأسها تؤتؤتؤ.

- فستان جميل، ولكنه مفرط الطول. فالموضة هذا العام هي ظهور نصف الركبة تحت التنورة. أجل! هذا مناسب بالضبط. سوف أعود بعد ثلاثة أيام. وعندها سأقصر لك طرف تنورتك. أتوافقين على أن يكون هذا هو المقابل؟

وقفت كيكي وقد لوت فمها قليلًا.

(تقرر الأجر من نفسها قبل أن تخبرني ما المطلوب توصيله).

نظرت المرأة إلى المرآة مرة أخرى، وعدلت القبعة على نحو أنيق. ثم قالت بنبرة أسرع:

- لقد استدعتني زبونة من مكان بعيد، لذا يجب عليَّ أن أخرج الآن بسرعة. فهي زبونة إذا رغبت في ملابس فلا تطيق صبرًا إلا إذا لبستها في اليوم نفسه. ولذا...

ثم أشارت المرأة إلى قفص طيور مغطى بقماش مخرم أبيض وُضع فوق الطاولة.

- هذه هدية عيد ميلاد ابن أختي، سيبلغ الخامسة من عمره. أرجو منكِ أن توصليها بدلًا مني. فقد طلب مني قفص طيور جديد ودمية. وأرغمني على أن أعده بأن أعطيها له قبل الساعة الرابعة من عصر اليوم. وإذا تأخرت قليلًا فسيجبرني على أن أقف على رأسي أربعًا وتسعين مرة. جربي أن تفعلي ذلك، لن تعرفي بعدها أين رأسك وأين قدماك، أليس كذلك؟ لم يبقَ من الوقت إلا ساعة واحدة فقط. أرجو منك توصيلها في الموعد بأي طريقة، أتوسل إليكِ! ماذا؟ العنوان؟ الحي العاشر من شارع المشمش. تسيرين بمحاذاة النهر عكس اتجاه البحر، فهو الشارع الخلفي لمحل الزهور الكبير في أطراف المدينة. الاسم؟ اسمه الطفل المشاغب وانباكو. ستعرفينه فورًا. حسنًا، أعتمد عليكِ، وشكرًا مقدمًا.

ظلت المرأة تتكلم بمفردها هكذا، وأعطت القفص لكيكي كأنها تحثها على الإسراع ثم خرجت هي أيضًا من شقتها.

كشفت كيكي الغطاء المخرم ونظرت إلى ما بداخل القفص.

- أوه، أنه يشبهك تمامًا يا جيجي. يا له من ظريف!

كان داخل القفص دمية قط أسود يضع ربطة عنق كبيرة خضراء بلون النعناع ويجلس فوق وسادة فضية اللون. يبدو أن الدمية من صُنع المرأة نفسها.

سلكت كيكي مقبض القفص في يد المقشة، فتدلى خلفها بجوار المذياع. وأجلست جيجي فوق خصلات المقشة وقالت له:

- راقبه بعناية.

ثم ارتفعت تطير بسرعة شديدة من خلف المباني.

- شعور ممتع، بعد انقطاع عن الطيران.

مالت الشمس تجاه الغرب وتألقت برَّاقة مبهرة للأعين. ومن حين إلى آخر ترفع الرياح الغطاء المخرم قليلًا، فينظر جيجي شزرًا إلى داخل القفص.

ثم همس مغمغمًا:

- إنه يضع ربطة عنق متظاهرًا بالأناقة.

وعاد ليُحدِّث نفسه قائلًا بعد برهة:

- بل ويجلس بخيلاء على وسادة.

- أوه هل تريد مثلها؟

ضحكت كيكي ثم التفتت إليه قائلة:

- إنها وسادة تُصنع خصِّيصًا للدمى التي تظل جالسة. كيف تغار من حيوان محشو لا يقدر على الحركة؟

تجاهل جيجي كلمات كيكي. ثم زحزح جسمه وراح يقترب من القفص. ثم بسط قدمه الأمامية وقرَّب إليه القفص بمخالبه فجأة، فاهتزت المقشة اهتزازة كبرى. فزعقت فيه كيكي:

- لا تفعل! اثبت في مكانك!

نصَّب جيجي أذنيه وسحب قدمه الأمامية وعض عليها بأسنانه.

- هل تريد أن تدخل القفص يا جيجي؟ هل أنت جاد؟!

- أجل، ألا يبدو جميلًا؟

ثم ضحكت كيكي بخيبة أمل وقالت:

- يا لك من مشاغب يا جيجي. لا أصدق أحيانًا أن لنا العمر نفسه.

بدأت المقشة تطير مرة أخرى في انسيابية ورشاقة. وحينئذ، كأن جيجي انتظر هذه الفرصة، ففتح باب القفص بمخالبه بسرعة شديدة ومد جسمه ودخل فيه. فاهتزت المقشة اهتزازًا مروِّعًا.

- آه، أوه، أه.

أسرعت كيكي تحاول إيقافه ولكنها لم تفلح، فتدحرجت الدمية من باب القفص المفتوح.

- آه.

لم يعد مهمًّا صراخ كيكي ومحاولاتها الإمساك بالقفص، فقد فات الأوان وسقطت الدمية في الهواء وهي تدور حول نفسها كأنها زوبعة سوداء.

غيَّرت كيكي وجهتها في الحال وبدأت تلاحقها. وباتت الغابة الخضراء المورقة أقرب فأقرب، فقفزت كيكي بمقشتها داخل الغابة كأنها تخترقها. واصطدمت الأغصان بجسدها كالإبر. ثم وجدت أخيرًا أرضًا فضاء صغيرة، فهبطت فيها ووقفت على قدميها. وألقت بالمقشة بعيدًا وأخذت تبحث هنا وهناك بين أغصان الأشجار وبين الأعشاب.

ولكنها لم تعثر عليها. فالغابة هائلة، كما كانت الأشجار مغطاة بأوراق كثيفة ناعمة. وإذا تعلقت الدمية بأغصان متشابكة في مكان ما، فلا أمل في العثور عليها. كما أنها دمية خفيفة الوزن فربما وقعت في اتجاه مختلف تمامًا.

شعرت كيكي برغبة في البكاء. لقد وثقت بها تلك المرأة التي قابلتها لأول مرة وطلبت منها هذا الطلب المهم. إنها أول زبون لها منذ افتتاح المحل، وها هي تكاد تفشل في أداء مهمتها.

كانت الساعة تقترب سريعًا من الرابعة، الموعد المحدد، ونظرت كيكي إلى جيجي الذي انكمش معتذرًا.

- يا لك من قط!

قالت كيكي ذلك ثم تنهدت تنهيدة عميقة.

- أجل. خطرت لي فكرة جيدة. ادخل القفص يا جيجي بدلًا من الدمية.

رفع جيجي وجهه بملامح مدهوشة ثم هز رأسه وتراجع إلى الوراء.

- ألم تكن تلك رغبتك؟ ادخل ولا تعترض، فليس لدينا وقت.

تحدثت كيكي بصوت حاد وأشارت إلى القفص والشرر ينطلق من عينيها. فأسرع جيجي بدخول القفص، ولم ينس أن يجلس فوق الوسادة الفضية التي لم تسقط مع الدمية. فأغلقت كيكي باب القفص. وعندها تحدثت إليه بحنان:

- لبعض الوقت فقط. إذا عثرت على الدمية فسآتي على الفور لأخذك.

نظر جيجي تجاه كيكي نظرة ندم.



- معنى هذا أنني سأغدو دمية؟

- أجل.

- بلا مواء، أليس كذلك؟

- بلى. لا تصدر أي صوت، شيء في منتهى البساطة.

- ولا أن أتنفس؟

- قدر المستطاع.

- كلا، لن أقبل ذلك. فالطرف الآخر هو الطفل المشاغب وانباكو. ألم تقل تلك المرأة إنه يجبرها على أن تقف على رأسها أربعًا وتسعين مرة؟

- لا تخف. سآتي لآخذك فورًا.

تنهد جيجي تنهيدة طويلة وانكمش حزينًا. ثم ولّى وجهه إلى الجهة الأخرى غاضبًا. وهذه المرة تنبهت كيكي فعلقت القفص أمامها وطارت بأقصى سرعة.

تقدمت بمحاذاة النهر وهي تنظر إلى أسماء الشوارع التي كُتبت على كل تقاطع، فتعرفت سريعًا على الحي العاشر في شارع المشمش خلف محل الزهور. دقت جرس الباب فسمعت أصوات أقدام تأتي جريًا. ثم فُتح الباب مع صوت يقول:

«خالتي».

ووقف قدامها طفل وضع ضمادة جروح على خده وأخرى فوق أنفه، واثنتين على جبهته وثلاثًا على ركبته.

- أعتذر لك. لم تستطع خالتك المجيء فجئتُ نيابة عنها. تفضل، هذه هديتك التي وعدتك بها. عيد ميلاد سعيد.

تلقى الطفل القفص من كيكي فنظر داخله على الفور. ثم حضنه بكلتا يديه وقفز في سعادة. ومن فُتحة في القماش المخرم، ظهر وجه جيجي المتجهم وقد قفز معه. فقالت كيكي على عجل:

- مهلًا، مهلًا، عامل القط بحنان.

- أجل. سأعامله بحنان، وأهتم به. سوف أطويه وأضعه في جيبي بحرص.

ثم أخرج الطفل لسانه من فمه.

فسمعت صوتًا حزينًا خافتًا جدًا من داخل القفص:

- نجدة!

- أراك لاحقًا.

لوحت كيكي بالتحية للطفل.

- ماذا؟ هل ستأتين لي بهدية أخرى؟

- أجل. ربما.

قالت كيكي ذلك ثم حملت المقشة وبدأت تجري.

عادت وبدأت تدور وتبحث بجد واجتهاد في مكان سقوط الدمية، وكانت المنطقة جزءًا من متنزه. ولكنها لم تعثر عليها مهما بحثت. إن استمر هذا، فسيضطر جيجي إلى البقاء في بيت الطفل المشاغب وانباكو إلى الأبد. ولن يعود إلى كيكي، رغم أنهما وحيدان وليس لكل منهما إلا رفيقه.

بدأ الغروب يحل على المكان. فاحتارت كيكي فيما تفعل، وجلست مستندة إلى شجرة بجوارها. ثم سقطت عيناها فجأة على طرف فستانها فأمسكت به وتأملته.

- ما من حيلة إلا أن أقطع طرف هذا الفستان وأصنع منه دُمية قِط. لقد قالت الفتاة إن التنورة القصيرة هي موضة هذا العام. لا بد من التجربة.

في تلك اللحظة، سمعت غناء خافتًا يأتي من خلفها:

الأسود السيئ أسود الدخان

الأسود الجيد أسود القط الأسود

لكن الأجمل بينها أسود الساحرة السوداء

للأسود درجات كثيرة مختلفة،

هلمَّ واختر منها ما تشاء

دُهشت كيكي فنظرت إلى الخلف، فرأت بيتًا صغيرًا يظهر من بين أغصان الأشجار. وما ظنته أشجار الغابة، كان سورًا من النباتات التي تُركت لتنمو كما يحلو لها. وظهرت فتاة تدير لها ظهرها ربطت شعرها إلى الخلف وتقف عند حافة نافذة مفتوحة ترسم لوحة.

(ربما تعلم تلك الفتاة شيئًا، فلأسألها).

فرّقت كيكي بصعوبة نباتات السور التي نمت بكثافة، ومن فرجة صغيرة، عبرت المرج المزهر، واقتربت من البيت.

أطلت كيكي من النافذة لتتحدث إلى الفتاة، فبدا لها أنها ترسم قطًا. وعندما نظرت كيكي تجاه الجهة الأخرى من اللوحة وجدت الدمية التي أضاعتها موضوعة أمامها.



التفتت الفتاة إلى الخلف عندما سمعت الصوت.

- أه، مهلًا، هذه.

- آه، هذه، إنها...

صرخت الاثنتان معًا وكل منهما تنظر إلى وجه الأخرى.

- آه، جيد.

- آه، يا فرحتي.

تنهدت كل منهما في الوقت نفسه.

- جيد أنني عثرت عليها.

- جيد أنني عثرت عليها.

مرة أخرى تحدثت الاثنتان في الوقت نفسه.

- على ماذا؟

- على ماذا؟

سألت كل منهما الأخرى في تعجب.

- أنا عثرت على دمية القط الأسود تلك.

- وأنا عثرت عليكِ. الفتاة ذات الفستان الأسود الجميل.

مرة أخرى، تداخل صوتاهما في منتصف الطريق، فكأنهما قالتا:

- أنا دمية الفتاة الجميلة ذات فستان القط الأسود.

هدأت كيكي أخيرًا، وسألت الفتاة هذه المرة بوضوح:

- ألم تسقط دمية القط الأسود تلك من السماء؟

فنظرت الفتاة إلى كيكي بدهشة.

- لا أدري أهبطت من السماء أم نبعت من باطن الأرض. ولكنني عثرتُ عليها في الغابة منذ قليل. لقد ظللتُ أبحث طويلًا عن لون أسود جميل، من أجل لوحة المعرض. الأسود الحقيقي بين جميع درجات اللون الأسود. ويُفضل أن يكون لون الساحرة السوداء. ولكني تدبرت أمري بهذا القط الآن.

توقفت الفتاة عن الحديث فجأة ثم صرخت عندما رأت المقشة التي تمسكها كيكي في يدها:

- آه، هل أنت...

- أجل، أنا ساحرة.

أومأت كيكي فمالت الفتاة على النافذة كأنها سوف تقفز منها وقبضت على يد كيكي.

- جيد. سأعيد إليك دمية القط الأسود. هيا ادخلي بسرعة واجلسي على ذلك المقعد. لقد فكرت في الرحيل عن هذه المدينة عندما عرفت أنها لم تسكنها ساحرة منذ زمن بعيد. ولكن يا لها من صدفة رائعة! لقد أتت الساحرة من نفسها إليَّ! هيا اجلسي، اجلسي.

كادت كيكي تنصاع لاندفاع الفتاة، إلا أنها أفلتت يدها وقالت:

- لا مانع لديَّ، ولكن ليس الآن. مقابل إعطائي دمية القط هذه، سوف أحضر لك قطًّا حقيقيًّا أسود بل قط ساحرة. ويمكنك رسمنا معًا.

- هل هذا صدق؟

- منتهى الصدق.

أومأت كيكي ثم أخذت منها دمية القط الأسود، وانطلقت تجري دون أن تلوي على شيء.

فلاحقها صوت الفتاة:

- هذا وعد.

حين وصلت كيكي إلى بيت الطفل المشاغب وانباكو، كان الظلام يخيم على كامل المكان. فتسللت بخطوات لا صوت لها وراحت تختلس النظر إلى النوافذ المضاءة واحدة بعد أخرى.

آه، ها هو جيجي. يحضنه الطفل المشاغب وانباكو بقوة وينامان معًا في سريره. ما كان جيجي مطويًا بحرص وعناية كما قال، بل كان مكومًا يولي وجهه تجاه ظهره، وتضغط عليه يدا الطفل بقوة، وبطنه مسحوق تحت إبطيه، وعلى أنفه ضمادة جروح كالتي يضعها الطفل المشاغب وانباكو.

فتحت كيكي النافذة بهدوء، ومدت يدها وجذبت ذيل جيجي، ولكنه لم يتحرك. ربما وفى بوعده وتحول صدقًا إلى دمية محشوة. بدأ أنف كيكي يؤلمها لحبسها دموعها. فقد أحست بعد فوات الأوان بمكانة صداقة جيجي في قلبها.

نادت عليه بصوت خافت:

- جيجي، جيجي.

ففتح جيجي إحدى عينيه ببطء. وضعت كيكي دمية القط الأسود فوق بطن الطفل وقالت:

- أسرع.

حرر جيجي جسمه بهدوء ثم قفز إلى ذراعي كيكي بوثبة منطلقة كالكرة. وفي أعماق حنجرته صوت لا يُعرف أهو بكاء أم ضحك.

- رائع أن أستطيع التنفس بكل حرية. بل وأن أتحرك.

ظل جيجي ينقّل نظره هنا وهناك بفضول جديد وهو طائر خلف كيكي.

- ولكن في واقع الأمر...

قالت كيكي ذلك، وهي تنظر تجاه جيجي ثم أضافت:

- أعتذر لك، وأرجو أن تساعدني مرة أخرى. ولكن هذه المرة لن تتظاهر بأنك دمية. فلا مانع من أن تضحك أو حتى أن تبكي.

- إذا كان الأمر كذلك فهو سهل جدًا.

أومأ جيجي موافقًا بتفهُّم بالغ.

ولكن عندما أجلست الرسامة كلًا من كيكي وجيجي قالت لهما:

- أرجو منكما الثبات التام، فليلف قط الساحرة ذيله ويبقِه ثابتًا. ثم أرجو أن يكون عابس الوجه. أجل، أجل. هكذا، توقف عن التنفس، كما أنت، كما أنت. يجب ألا تتحرك قيد أنملة.

غضب جيجي ونصب شعره.

وهنا صرخت الرسامة في سعادة:

- رائع، قط ساحرة حقًّا! كما أنت، كما أنت.

جلست كيكي وهي تتجنب النظر إليه وشعرت بسعادة غامرة.

(هذا شخص آخر قد أُعجب بي).

في تلك الليلة، كتبت كيكي أول رسالة إلى أوكينو وكوكيري.

«لقد قررت العيش في مدينة تُسمى كوريكو. مدينة كبيرة تقع على ساحل البحر. ظننتها بادئ الأمر كبيرة جدًّا، ولكنها المدينة المناسبة تمامًا للعمل الذي اخترته. اسمه: خدمة كيكي للتوصيل السريع».

كتبت كيكي كل ما حدث لها حتى الآن، عدا تلك الفترة التي شعرت فيها باليأس. ثم ختمت الرسالة بقولها:

«قررت أن المقابل الذي أطلبه من الخياطة لن يكون تقصير فستاني، بل أن تصنع وسادة فضية من أجل جيجي. سوف أرسل إليكما في المرة القادمة لوحة لوجه جيجي المرعب.

لا تقلقا عليّ، فأنا أقضي وقتًا ممتعًا. أبي، أمي، كونا بخير.

إلى اللقاء».

الفصل الخامس

كيكي تواجه مأزقًا صعبًا

فتحت كيكي باب المحل وقالت: «ضوء مبهر»، وهي تضع يدها فوق جبهتها عفويًا لتحمي عينيها من الشمس.

الطقس رائع اليوم.

منذ أن أتت كيكي إلى هذه المدينة، سطعت أشعة الشمس بنور معتدل لعوب. لا اختلاف كبير بينها وبين شمس البلدة كثيرة الغابات مسقط رأسها، ولكن أشعة الشمس في هذه المدينة تضرب الآن بلا هوادة، ككرة رُميت لتصيب الهدف.

تمتمت كيكي: «الصيف قرب البحر مختلف تمامًا. يصعب على المرء أن يتنفس». ثم فكّت أزرار ياقتها لتبترد، وشبّت على أصابع قدميها.

(أوه، لن أستطيع رؤية البحر مهما أطلت قامتي. لا بد أني أفكر في رسالة أمي).

في الديار، إذا وقفت كيكي على أصابع قدميها في الحديقة الأمامية، فإنها تستطيع رؤية القمة الشرقية للجبل الأخضر. وقد حدثتها أمها كوكيري عن هذا الجبل في الرسالة التي وصلتها أمس الأول.

«مررت بالجبل الأخضر في طريق عودتي إلى البيت البارحة. فتذكرتك عندما أرسلك لتقضي لي بعض الحاجات. كنتِ تعرجين على هذا الجبل وتتأخرين في العودة. وجدتُ العشب نما واستطال حتى كاد يصل إلى الركبة. فجلستُ هناك لوهلة أتأمل السماء. خمِّني ماذا حدث؟ لقد غططت في النوم. فالعشب زكي الرائحة والنسيم عليل. لا أدري كم مر من وقت، ولكنني صحوت وعدتُ إلى البيت في لهفة. وإذ رأى والدك وجه أمك أخذ يضحك. قال إنني بدوت شبيهة بك يا كيكي، فقد بقيت آثار الأعشاب على وجنتيّ. فضحكتُ أنا أيضًا.

تذكرت كيكي عددًا من الذكريات؛ الجبل الأخضر الذي اعتادت اللعب فيه تحت أشعة الشمس الحارقة، والمشي في طرقات المدينة الضيقة وما إلى ذلك، فامتلأ قلبها شوقًا وحنينًا.

- حسنًا، لنبدأ العمل.

أمسكت كيكي بمقشتها كأنها تنفض عنها الحزن، وأخذت تلمعها بقطعة من القماش الناعم. كانت تفعل ذلك كل صباح دون انقطاع منذ أن افتتحت محل «خدمة كيكي للتوصيل

السريع».

فخرجت أوسونو من المخبز المجاور حاملة طفلتها الرضيعة وتحدثت إليها من النافذة:

- أوه، يا لك من مجتهدة! تعملين اليوم أيضًا؟ مهما اجتهدت، فلن تحصلي اليوم على عمل فيما يبدو، فالمدينة خالية من سكانها. ولكن ثمة ولد ثابت العزم ينظف الزقاق. وعداه يكاد الطريق يخلو من المارة.

رفعت كيكي وجهها لتنظر إلى الطريق. وقطعًا لم ترَ أمام عينيها إلا أشعة الشمس المبهرة للأعين وظلال المباني السوداء. أوضحت لها أوسونو قائلة:

- اليوم الأحد. ثم إننا في عز الصيف، لذا فقد ذهب الجميع إلى البحر.

- البحر! ماذا يفعلون هناك؟

- يسبحون طبعًا. ما رأيك أن تأخذي اليوم راحة وتذهبي أنت أيضًا؟

- في هذا الحر الشديد؟

- ماذا؟! بل بسبب هذا الحر يذهب الناس إلى البحر. ستشعرين بمتعة كبرى. إذا مكثت في هذه المدينة من دون الذهاب إلى البحر فسيكون صيفًا عسيرًا عليكِ.

- ولكن لم يسبق لي السباحة في البحر من قبل.

- وهذا سبب إضافي للذهاب. أما لباس السباحة فسأعيرك إياه. لديَّ لباس بحر أسود كنتُ ألبسه وأنا صغيرة. فيجب أن تكون ثياب الساحرة سوداء، أليس كذلك؟

- وأنت يا سيدة أوسونو، ألن تذهبي إلى البحر؟

- لا أستطيع ومعي هذه الطفلة الرضيعة. مستحيل، مستحيل. سأصبر على الحر هذا العام. أنت محظوظة يا كيكي، فلن تستغرقي في الطيران بالمقشة إلا دقيقة واحدة وستجدين نفسك هناك!

- سأذهب معكِ وأراعي أنا الرضيعة.

لمست كيكي برفق وجنة الرضيعة النائمة بارتياح بين ذراعي أوسونو.

- لا تشغلي بالك بي. لم تحصلي على قسط من الراحة منذ أن أتيت إلى هذه المدينة. وقد بدأ العمل يكثر شيئًا فشيئًا. اذهبي واسترخي على سبيل التغيير. يكفي أن تستلقي فقط على رمال الشاطئ. انتظري قليلًا سأحضر لك لباس البحر حالًا. البسيه تحت فستانك، سيكون

الأمر هكذا أسهل عليك.

ذهبت أوسونو سريعًا ودخلت بيتها.

- البحر...!

همست كيكي بصوت خافت إلى جيجي:

- ما رأيك أن نذهب ونجرب؟

كان جيجي ينام على درجات السلم الباردة متجنبًا الحر كأنه قطعة زبد ذائبة، فأجاب متكاسلًا بخرخرة من منخاره:

- هل تريدين أن يتحرك مَن عليه فروة من الشعر كهذه في هذا القيظ؟ يا للقسوة!

- ماذا؟! سنطير في اتجاه نسيم البحر. أظن ذلك أفضل بكثير من البقاء في البيت. ثم يجب أن نجعل المقشة تلهو من حين إلى آخر.

خرخر جيجي بمنخاره قائلًا:

- من حين إلى آخر أليس كذلك؟

ونهض متثاقلًا وضرب جسمه بذيله ضربات متتالية. وهذه هي حركة جيجي المعتادة عند خروجه من البيت. هزت كيكي رأسها بابتسامة وبدأت بإغلاق نافذة المحل.

لبست كيكي لباس البحر الذي أتتها به أوسونو. مطته أولًا ثم انزلقت داخله، فارتد القماش كالمطاط والتصق تمامًا بجسمها.

انكمشت كيكي باستحياء وسألت أوسونو.

- هكذا؟

- أجل. إنه يناسبك تمامًا. في الماضي كنتُ أنا أيضًا في مثل نحافتك. أحسدك أنك تستطيعين لبس ثياب البحر هذه.

- ولكنني أشعر أن جسمي محشور. يا لخجلي!

- كلا، هكذا يُلبس. ستجدين الجميع يلبسون الثياب نفسها عندما تصلين، ولن تشعري بالخجل.

قالت أوسونو ذلك وهي ترفع طرف تنورتها وتُظهر لها ساقيها فجأة.

- هيا! أسرعي بالذهاب.



لبست كيكي فستانها فوق لباس البحر، وأمسكت في يدها المقشة التي تدلى منها المذياع وخرجت من المحل مع جيجي. ثم علقت على باب المحل لافتة كُتب عليها «اليوم إجازة».

طارت كيكي مع جيجي في السماء كأنهما يخترقانها. وانسابت من المذياع موسيقى إيقاعها فَرِح، فبدأت كيكي تتمايل معها.

- يا له من شعور ممتع!

ركبت الرياح بمهارة وأخذت تطير وهي ترسم منحنيات كبيرة بالتمايل يمينًا ويسارًا.

- الطيران شيء رائع حقًّا! ولا عجب أن ترغب السيدة أوسونو في الطيران هي الأخرى.

تأملت كيكي بإعجاب مدينة كوريكو الممتدة على جانبي النهر الكبير مثل جناحي فراشة ترقص هي أيضًا مع الموسيقى.

- اسمعي يا كيكي، فالمذياع يقول شيئًا.

ربَّت جيجي على ظهر كيكي من الخلف. فقد توقفت الموسيقى فجأة وبدأت نشرة الأرصاد الجوية.

- نكرر التحذير المهم. يُخشى اليوم من هبوب رياح عاتية على شاطئ مدينة كوريكو، يطلق عليها العامة اسم «رياح طفل البحر المشاغب». تهب هذه الرياح فجأة في هذا الموسم وتعصف هادرة، لذا سُميت بهذا الاسم. نرجو من السادة الذاهبين إلى شواطئ البحر للسباحة توخي الحذر.

قال جيجي:

- أوه، سيسوء الطقس.

- ماذا! إنه طقس رائع.

لم تهتم كيكي مطلقًا بما قيل.

- انظر. ها هو البحر. كل هذه الجموع من الناس تلعب وتمرح. إنه تحذير خاطئ من نشرة الأرصاد. إنك تتخيل الأسوأ دائمًا كلما حاولنا أن نستمتع بوقتنا، وهذه عادة سيئة!

- والمبالغة في الاستهانة أيضًا ليست عادة حسنة.

نظر جيجي جانبًا ونصَّب فراءه .

وبعد وقت قصير، وجهت كيكي يد المقشة إلى الأسفل وبدأت الهبوط. ووصلت إلى الأرض في ركن قصي من الشاطئ الرملي. لم تسمع كيكي بساحرة ذهبت إلى شاطئ البحر من قبل، ولذا فكرت أن الأفضل ألا تلفت إليها الأنظار. وألقت نظرة جانبية تجاه المنطقة المزدحمة بالناس. الكل منهمك في اللعب والمرح، فمنهم من يصنعون كرات من الطين ويتبادلون رميها، ومن يدفن جسمه في الرمل حتى رأسه، ومن يتشمَّس، ومن يلاحق الأمواج عند حافة البحر، ومن يسبح بضربات متتالية بذراعيه. شاطئ البحر! يمكن للمرء أن يفعل أشياء مختلفة هنا. يمتلئ المكان هنا وهناك بأصوات الضحكات وبالوجوه الباسمة.

بدأت شمسيات الشاطئ ترفرف مصدرة أصواتًا عالية من قوة الرياح، فزاد ارتفاع الأمواج كذلك، وباتت صرخات راكبي الأمواج تزداد أكثر وأكثر.

- تُرى هل يجب الانضمام إليهم؟

خلعت كيكي فستانها وحذاءها وحملتهما في يديها، وبدأت تمشي على استحياء محنية الظهر. هذه أول مرة تسير فيها على الرمال حافية القدمين، وكانت تلك الرمال شديدة السخونة على الرغم من أن النهار لم ينتصف بعد، فلم تحتمل السير بتأنٍّ عليها، بل قفزت في صخب كالطائر. أما جيجي فحرص على أن يخطو فوق ظل كيكي، فكان هو أيضًا يقفز في مشيه كالطائر وهو يهمس شاكيًا على الدوام:

- منظرنا سخيف! كأننا حبتا فاصولياء تُشويان في قدر ساخنة. ليتني أستطيع أن أجعل السيدة كوكيري ترى هذا المنظر.

أخيرًا وصلت كيكي بعد جهد إلى المنطقة المزدحمة بالناس، فقلدت الجميع وحفرت حفرة صغيرة، واستلقت فيها على بطنها. كانت الرمال دافئة كحمام ساخن فشعرت بمتعة كبيرة. ومرت بجوار وجهها مختلف أنواع الأقدام، ولكنْ كلٌّ منهمك في لعبه، ولا يلقي بالًا لمن حوله، فأثار هذا ارتياح كيكي.

وضعت كيكي ذراعيها أسفل ذقنها وراحت تتأمل البحر. يرتفع البحر ويتحرك بلا توقف كأنه كائن حي، والناس يقفزون إلى ظهره واحدًا تلو الآخر.

- هل أقفز في البحر أنا أيضًا؟

انتبهت كيكي إلى أن أمها كوكيري لم تُعلِّمها أي شيء عن البحر. وربما يكون ذلك طبيعيًا، فلم يسبق لكوكيري أن رأت بحرًا من قبل.

اختلس جيجي النظر إلى وجه كيكي في قلق ثم قال:

- كيكي! ربما تذوب الساحرة إذا دخلت البحر. من الأفضل ألا تفعلي!

- مستحيل. ألا ترى الجميع يستمتعون بوقتهم؟ لا أرى سببًا يمنع الساحرة من هذه المتعة. أفكر أن أدخل ولو بقدميَّ فقط.

اعتدلت كيكي في جلوسها على الرمال. ثم لمحت عيناها جمعًا من الغيوم السوداء ظهر فجأة عند أفق البحر ولم يكن موجودًا من قبل. وعندما نظرت حولها، رأت زوبعة رملية صغيرة تلتف حول نفسها.

- أوه، هل صدقت نشرة الأرصاد؟

وعندما تأكدت أن الشمس القوية تسطع في السماء فوقها، عادت لتتأمل الناس في البحر وهي تشعر بالغيرة.

- معذرة!

سمعت صوتًا مفاجئًا بجوارها.

نظرت كيكي إلى مكان الصوت، فكانت امرأة بجوارها مستلقية على بطنها وتحدثها مبتسمة. اعتدلت تلك المرأة في جلستها ببطء وأشارت إلى المقشة.

- هل هذه لكِ؟ هل أتيت بها إلى هنا للعب في البحر؟ هل تستخدمينها بديلًا من طوق السباحة؟

- ها هاها.

ضحكت كيكي رغمًا عنها بسبب هذا القول الغريب. فهزت المرأة كتفيها وضحكت هي الأخرى، ثم واصلت الحديث:

- يُقال إن ساحرةً أتت إلى هذه المدينة، وبدأ الناس يقلدونها، أليس كذلك؟ ولكن أليست

تقليعة ظريفة؟! إنني الآن مشغولة في رعاية ابني وابتعدت طويلًا عن متابعة آخر التقليعات. رأيت منذ قليل فتى يحمل واحدة.

أسرعت كيكي بإخفاء المقشة خلف ظهرها على الفور.

- انظري، هذا الفتى هناك.

التفتت المرأة إلى الخلف وأشارت بأصبعها وألقت نظرة سريعة على فتى يحمل مقشة وكيسًا على الجانب الآخر من الناس الذين يلعبون على الرمال.

- إنه ينظف الشاطئ على الأرجح. أحقًّا هذا؟ وهل أنتِ أيضًا تنظفين الشاطئ؟ لقد ظننتُ...

قالت المرأة ذلك وهي تمد رأسها وتنظر حولها ثم صرخت فجأة بأعلى صوتها:

- ولدي... لا تفعل يا ولدي. لا تذهب بعيدًا.



اِبقَ حيث أستطيع رؤيتك.

أجل، أجل. اضرب بقدميك على حافة البحر هكذا، انظر، هذه موجة كبيرة.

لوَّحت المرأة بيدها، فأخذ الطفل، الجالس على طوق سباحة برتقالي اللون كالآنية، يضرب الماء بقدميه وهو ينظر ناحية أمه. أعادت المرأة نظرها إلى كيكي ثم تنفست بعمق وهي تهز كتفيها.

- الأطفال في منتهى الظرف، ولكنهم متعبون جدًّا. الأم مهنة شاقة.

ثم مرة أخرى صرخت فجأة بصوت مجنون:

- آه... يا ولد، لا تذهب إلى العمق. أجل، اجلس مكانك. طفل مطيع.

مرة أخرى عادت المرأة للنظر إلى كيكي مبتسمة.

- أرغب في الاسترخاء في وقت وجودي على شاطئ البحر على الأقل، آه... أجل، أجل. ألا يمكن للهريرة الصغيرة هذه أن تلعب مع ابني؟ تبدو هريرة في منتهى الذكاء. وإذا حدث ذلك فلن يذهب ابني بعيدًا بمفرده.

مدت المرأة يدها ومسحت على ظهر جيجي وكأنها تسترضيه.

- اذهب يا جيجي إليه.

وكزت كيكي بطن جيجي، فنهض متكاسلًا ورفع صوته بخرخرة من بطنه.

- تصف قطًّا ناضجًا بالهريرة الصغيرة! أف!

هكذا تذمر جيجي لنفسه، وهو يتجه إلى حافة الماء، مميلًا ذيله يمنة ويسرة. يا لها من هريرة ذكية.

راقبت المرأة جيجي مبتسمة حتى رأته يذهب إلى جوار الطفل، فاستلقت على بطنها مرة أخرى وهي تدندن. قلدتها كيكي فاستلقت هي الأخرى على بطنها مجددًا. وعندما أغمضت عينيها سمعت بوضوح الأصوات الصاخبة قربها، تختلط معًا في تناسق بديع. وتنشقت رائحة البحر المالحة، التي تشبه خليطًا من رائحة الأسماك وأعشاب البحر، ويا لها من رائحة زكية جدًّا.

فجأة سمعت دويًا، وهبت رياح تختلف تمامًا عمّا كانت عليه حتى الآن. كانت رياحًا عنيفة كأنها تهبط مباشرة من السماء. ارتفعت الأصوات بصرخات المفاجأة وبالصيحات من هنا وهناك.

نظرت كيكي إلى ما حولها وهي تطرف بعينيها التي دخلتها الرمال، فوجدت قبعات القش تتطاير وأطواق السباحة تجري وكأنها إطارات سيارات. وعندما نهضت في عجل تغير شاطئ البحر الهادئ إلى النقيض. فمن الناس من حمل طفله تحت إبطه وهرب في اتجاه غابة الصنوبر على حافة الشاطئ، ومنهم من ركض في كل اتجاه ليلاحق أغراضه التي طيَّرتها الرياح.

- ولدي!

صرخت المرأة بجوارها بصوت كدوي الانفجار. ثم جرت إلى حافة البحر كالمجنونة.

لاحقتها عيون كيكي فرأت الطوق البرتقالي الذي يحمل كلًّا من الطفل وجيجي، يوشك أن تسحبه أمواج عالية إلى عرض البحر. قفزت المرأة في وسط البحر ولكن الطوق اندفع إلى العمق، وهو يدور حول نفسه مع دوامة شديدة من المياه. سُمع صوت بكاء كالرعد.

وانطلقت كيكي هي الأخرى تجري وهي تصرخ منادية جيجي:

- تمسَّك بالطوق بقوة! سآتي لإنقاذك في الحال.

ثم قالت للمرأة التي تقف تصارع الأمواج بقدميها:

- اطمئني، فأنا أستطيع الطيران. سأذهب وأنقذهما.

فقال شخص ما بجوارها:

- حقًّا، إنها صاحبة محل خدمات التوصيل السريع التي تطير في السماء.

- حسنًا، أسرعي، أسرعي أرجوك!

عادت كيكي إلى الشاطئ وأمسكت بالمقشة. وفي تلك اللحظة بُهتت وجفت الدماء في عروقها. ففي غفلة منها بُدِّلت المقشة، وتحولت مقشتها إلى مقشة رخيصة تكاد تطابق مقشة أمها.

أفي مثل هذا الوقت العصيب؟! ماذا حدث؟ تُرى هل بدل أحدهم المقشة مستغلاً العاصفة؟ أم بدلها أثناء استرخائها وهي مغمضة العينين؟ بدأ قلب كيكي يدق بعنف. ماذا أفعل؟ لا وقت للتفكير. امتطت كيكي المقشة على عجالة وارتفعت لتطير. ولكن ما إن ارتفعت، حتى هبطت يد المقشة واصطدمت بالمياه.

- آه لا!

ارتفعت أصوات خيبة الأمل من الناس الذين تجمهروا.



وجهت كيكي يد المقشة إلى الأعلى في هلع، وسقطت شعرات المقشة في المياه، فابتلت وباتت ثقيلة الوزن، فأخذت تميل نحو شاطئ البحر. وكلما اجتهدت كيكي في تغيير وجهتها عادت أدراجها، أو سقطت على وجهها، كأنها فرس حرون تعاند فارسها. وأثناء ذلك كان الطفل وجيجي يواصلان الانسحاب إلى عمق البحر.

طارت كيكي باستماتة. وبعد السقوط المتكرر والمقاومة، وصلت أخيرًا إلى الطفل، فتمددت فوق عصا المقشة ومدت يديها. ولكن الطفل كان يصرخ باكيًا فلم تستطع الإمساك به بسهولة. وتمكنت في النهاية من الإمساك بسرواله، وجذبته بشدة ورفعته فوق المقشة. ثم جذبت جيجي بذيله ورفعته كذلك. حينها هجمت موجة عاتية أدارت طوق السباحة الفارغ حول نفسه عدة مرات، وأخذته بسرعة رهيبة وذهبت به إلى عرض البحر.

قفز الناس الذين تجمعوا على الشاطئ وهم يصرخون مسرورين.

هبطت كيكي بصعوبة على أرض الشاطئ وأعطت الطفل المرهق لأمه، ثم حملت جيجي المرهق أيضًا ولبست في عجل فستانها فوق جسمها المبتل. وحملت المذياع وامتطت المقشة مرة أخرى وارتفعت لتطير في السماء.

خاطبها الجميع في صوت واحد:

- ما رأيك لو تأخذين قسطًا من الراحة، فالرياح ما زالت عاتية؟

ولكن ما كان لكيكي أن تفعل ذلك، إذ يتوجب عليها البحث عن مقشتها. عرفت كيكي مَن أخذها، إنه ذلك الفتى الذي لمحته منذ قليل يحمل مقشة. لا شك أنه هو الذي استبدلها لرغبته في الحصول على مقشة ساحرة. استشاطت كيكي غضبًا، فهذا لا يُغتفر. لحسن حظها أنها

استطاعت إنقاذ الطفل وجيجي، ولكنها لا تكف عن الارتجاف كلما تخيلت ما كان سيحدث لو أنها لم تنجح. يجب أن تمسك به وتجعله يعتذر لها مليون مرة.

استمرت كيكي في الطيران وهي تمتطي المقشة التي تهتز بعنف كأنها جواد جامح وهي تنظر تحتها بانتباه عميق.

تُرى أين يذهب من يريد الحصول على مقشة ساحرة عندما ينال مراده؟ سيذهب قطعًا إلى مكان شاهق كالجرف مثلًا، لأنه يريد أن يجرب الطيران بها.

راحت كيكي تطير فوق الهضاب المترامية بين البحر ومدينة كوريكو واحدة بعد أخرى.

- هناك يا كيكي.

أشار جيجي إلى الأمام. وكما توقعت، كان شخص يلبس ثيابًا سوداء واقفًا فوق قمة تلة منخفضة الارتفاع، يوشك على الطيران.

- أسرعي يا كيكي، يجب إيقافه!

- هششش. اصمت!

أوقفت كيكي المقشة الطائرة في الهواء. فقال جيجي:

- سوف يُصاب بجروح.

سيطرت كيكي على المقشة التي تحاول الحركة بعنف وقالت ببرود:

- إن كان يريد الطيران، فلندعه يطير. وعندما يُصاب بأذى سيدرك الحقيقة. عار عليه أن يسرق متاع الآخرين!

فصرخ جيجي:

- سيقفز فعلًا!

أخيرًا طار الشخص فوق التلة. ولكنه في اللحظة نفسها وقع وارتطمت مؤخرته بالأرض، ثم سقط كأنه حجر يتدحرج على منحدر التلة.

طارت كيكي لتلاحقه وهبطت بجوار سارق المقشة عند سفح التلة ينفض جسده وينفض مؤخرته.

فقالت له كيكي بصوت متعجرف:

- حظك سيئ للأسف.

دُهش الفتى ونظر بوجهه إلى أعلى، فكان كما توقعت، إنه الفتى نفسه المقارب لها في العمر الذي لمحته منذ قليل. شُرخت نظارته الطبية، وأصيب بسحجات وجروح هنا وهناك وتلطخ بالدماء. ثم ضحكت كيكي رغمًا عنها، فقد قلدها الفتى ولبس فستانًا أسود فوق ملابسه.

- أحييك على اجتهادك في تقليد الساحرة بالثياب أيضًا.

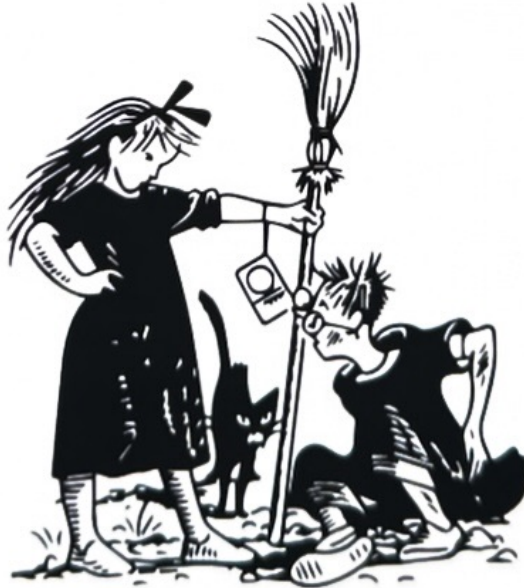
نهض الفتى متجهمًا وخلع الفستان سريعًا، وقد تورد وجهه من الخجل ونظر إلى الأرض.

- وقعتُ في مأزق عصيب بسببك.

ضربت كيكي بيد المقشة على الأرض، وبالغت في إظهار غضبها. ففي الحقيقة لم تشعر بالغضب إذ رأته، وهو الفتى، يجتهد في محاولة تقليد الساحرة، حد أن يلبس فستانًا أسود، بل انتابتها رغبة في الضحك.

- أريدك أن تعتذر لي. مليون مرة.

طأطأ الفتى رأسه معتذرًا في صمت.



ثم تراجع خطوة وطأطأ مرة أخرى.

- ما حجتك؟ فأنت لم تُولد سارقًا بالفطرة، أليس كذلك؟

فتحدث الفتى بصوت حاد معترضًا:

- مستحيل! بالطبع نعم . بل من أجل البحث.

فصرخت كيكي:

- ماذا تعني بقولك من أجل البحث؟!

- لا تصرخي هكذا في وجهي، سأشرح لك حالًا. في الحقيقة، أنشأنا أنا وأصدقائي في هذه المدينة ناديًا للطيران، وتجمعنا لنفكر في كيفية طيران البشر بقوتهم الذاتية. ونحن الآن منقسمون إلى ثلاث مجموعات تتنافس في إجراء الأبحاث. تبحث المجموعة الأولى في الحذاء الطائر، والثانية في البساط الطائر، والأخيرة في مقشة الساحرة الطائرة.

- وأنت من أعضاء المجموعة الأخيرة، أليس كذلك؟

تطلعت كيكي إلى وجه الفتى عن قرب فأومأ موافقًا في حياء.

- ولهذا السبب كنت بالقرب من متجرك في الصباح، وسمعت حوارك مع الخبّازة. ولذا أتيت أنا أيضًا إلى البحر على وجه السرعة.

- فكرت أن تطير باستخدام مقشتي، ها؟ ولكن هذا لا يجدي. لن تتمكن من الطيران، وإن امتلكت المقشة. أنا أستطيع لأني ساحرة. أعني أن الدماء التي تجري في عروقي مختلفة.

ثم ضربت كيكي ضربة قوية بيدها على صدرها.

- هل معنى ذلك أن الدماء هي التي تطير؟ سأل الفتى وقد اتسعت عيناه.

انفجرت كيكي ضاحكة رغمًا عنها، ولكنها أسرعت بكتم ضحكتها ثم همست جادة:

- تُرى ما الذي يطير حقًّا؟ أنا أيضًا لا أدري.

تأملت كيكي السماء في شرود ثم ضحكت قائلة:

- ولكن المقشة عامل مهم. إذا كنتَ تجري أبحاثًا، فاستخدم مقشة يسهل عليك الطيران بها. ما تلك المقشة؟

- ألا تنفع؟ لقد صنعتها بنفسي وحرصت على أن تكون شبيهة تمامًا بمقشتكِ.

- مريعة تمامًا. تطير بعنف وتؤلم المقعدة. لو كانت حصانًا، لأنهكني كبح جماحه. لقد أحرجت نفسي أمام الجميع. هيا، أعد إليَّ مقشتي.

توقفت كيكي وهي تقول ذلك بعد أن رأت وفهمت، وعلا صراخها في الوقت نفسه

- آه...

فمقشة أمها القديمة ملقاة على الأرض منكسرة إلى نصفين.

- ماذا أفعل؟! ماذا أفعل؟!

نكّس الفتى رأسه. فقالت كيكي بصوت ممزوج بالبكاء:

- مقشتي التي تنازلت لي أمي عنها، المقشة التي أعطتني إياها من أجل رحلة النضج! المقشة المريحة في الطيران!

فقال الفتى بصوت لا يسمع:

- آسف. ثم وقف متهدل الكتفين مطأطئًا رأسه.

قالت كيكي أخيرًا بصوت مبحوح: «آه حسنًا». ربما لم يعجبها ما حدث، لكنها لن تستطيع أن تغير من الأمر شيئًا، فكتمت البكاء في قلبها. «سأصنع مقشتي. صنعت واحدة من قبل، وأظن أن الأمر سينجح. لا أظنها ستطير بمثل انسيابية هذه في البداية، لكني سأتولى زمامها في نهاية المطاف».

قال الفتى وجلًا:

- لقد أجريتُ أبحاثًا كثيرة حول الطيران في رشاقة وانسيابية، ربما أستطيع أن أساعدك.

فقالت كيكي بثقة وفخر:

- أشكر لك عرضك المساعدة. ولكن هذا عمل الساحرات.

- القدرة على الطيران ليست بالأمر الهين، صحيح؟

أخيرًا رفعت كيكي وجهها قليلًا ونظرت إلى الفتى مبتسمة وقالت: صحيح، لكن عدم القدرة على الطيران ليست بالأمر الهين أيضًا.

الفصل السادس

كيكي تنزعج قليلا

في اليوم التالي لذهابها إلى البحر ووقوعها في متاعب جمّة، ذهبت كيكي إلى الغابة الواقعة في الطرف الغربي من المدينة وبحثت عن غصن شجرة مُرَّان، حتى عثرت عليه، وإذ عادت به عكفت في الحال على صناعة مقشة جديدة. لم تعد ترغب في مقشة أنيقة بيد رفيعة كالتي صنعتها قبل الرحيل، واختارت أن تكون مقشة تطير في الرياح العاتية برشاقة كما تسبح الأسماك في الماء، وأن يكون عودها صلبًا ومتينًا. وبعد الحيرة والتردد قررت كيكي أن تربط خصلات مقشة أمها بالغصن الجديد.

قالت كيكي لنفسها وهي تهز كتفيها:

- بات الآن نصفها من مقشة أمي ونصفها جديدًا.

فكرت في بادئ الأمر أن تصنع مقشة جديدة كل الجدّة، ولكنها شعرت أن خصلات مقشة أمها تبث في نفسها الطمأنينة، ولم تستطع أن ترميها.

قالت كيكي لنفسها:

- نصف بنصف كما قلتُ .

وإذ سمع ذلك جيجي الذي يجلس بجوارها مغمض العينين، فتح عينيه فتحة ضيقة ونظر إلى المقشة وتنهد تنهيدة المطمئن.

ولكن المقشة الجديدة لم تكن جيدة في الطيران. ربما لم يجف الغصن بعدُ جفافًا تامًّا لأنها صنعتها على عجالة. أو ربما أنها لم تعتد الطيران بعد.

- على أي حال، يجب عليَّ أن أعتاد الطيران بها.

ورغم أنها كلما طارت بها شعرت بالدوار، فإنها استمرت في الطيران بها من دون يأس.

إذا وصفنا تلك المقشة فإن خصلات مقشة أمها ذات حيوية، ينتفض جزؤها الخلفي مثل جواد جامح. وكلما حدث هذا، أوشكت كيكي على الانكفاء والوقوع، بل انقلبت رأسًا على عقب كأنها تتدرب على الوقوف على رأسها.

عندما تطير كيكي بهذه الهيئة الغريبة وجسمها يتصبب عرقًا من الخوف، يخاطبها أهالي المدينة بلطف أكثر من السابق.

- أوه، أوه، هل أنت بخير؟

- ماذا حدث لكِ في الآونة الأخيرة، هل أصابتك نزلة برد؟

- إذا وقعتِ فأحسني الوقوع!

ومنهم من يقول لها:

- أشعر بالاطمئنان نوعًا ما. فعندما كنتُ أراك تطيرين في الماضي وأنت تسيرين في خط أسود مدبب، بدوتِ في نظري ساحرة شريرة من قصة خرافية.

ولذا تفكرت كيكي وقالت لنفسها:

كيف يحبني الناس أكثر وطيراني أسوأ من السابق؟ أظن أمي لم تعرف بهذا الأمر.

مرت عشرة أيام منذ وقوع مأزق المقشة. دق جرس الهاتف، فرفعت كيكي السماعة وجاء منها صوت الرسامة التي رسمت لوحة كيكي وجيجي.

- أعتذر عن الانقطاع الطويل. كيف حالك؟ بفضلك انتهت اللوحة أخيرًا، لوحتك أنت والقط. تعالي وألقي نظرة عليها، ثم أود منك توصيلها إلى مكان المعرض. سمعت أنك بدأت هذا العمل. إنها كما تعلمين كبيرة الحجم، ولكن أرجو أن تتدبري أمرك.

- أجل بالتأكيد.

قالت كيكي ذلك ثم صمتت، فقد شعرت فجأة بالقلق. إن حمل مثل هذه اللوحة الكبيرة والرفيعة في منتهى الصعوبة. فإذا هبت الرياح ستقع كارثة. كما أنها لا تثق بالمقشة الجديدة.

وتذكرت كيكي الخوف الذي أصابها بعد فترة قصيرة من تعلمها الطيران بالمقشة، عندما هطلت الأمطار فجأة وذهبت لتوصل المظلة إلى والدها. وفي منتصف الطريق هبت رياح فتحت المظلة، وباتت هي والمقشة تدوران مثل طواحين الهواء.

- إنها لوحة تصورك.

فأرجو منك الاعتناء بها.

يبدو أن الرسامة ظنت أن كيكي قبلت العرض بالفعل.



- أجل، سأبذل جهدي إذن.

- رائع! أرجو منك أن تأتي غدًا في الظهيرة لتأخذيها، أرجوك. أتحرَّق شوقًا إلى عرضها عليك.

كان صوت الرسامة مبتهجًا.

في صباح اليوم التالي، كانت السماء زرقاء وصافية تمامًا بلا أثر للغيوم. ومع ذلك قلقت كيكي. فالصباح الذي تبدو فيه السماء صافية هكذا، يعني أن الرياح تهب بقوة شديدة في أعلاها. ثم عندما يأتي وقت الظهيرة، تهبط تلك الرياح إلى الأسفل أحيانًا.

(تُرى هل سأستطيع حمل تلك اللوحة دون عناء؟)

ثم تذكرت كيكي فجأة ما قاله فتى نادي الطيران. قال حرفيًا:

- لقد أجريتُ أبحاثًا كثيرة عن الطيران في رشاقة وانسيابية.

وعلى الفور استعارت كيكي دليل الهاتف من السيدة أوسونو، وبحثت عن رقم نادي الطيران.

- أهلًا، أريد الفتى... ذلك الفتى المنتمي إلى مجموعة أبحاث طيران الساحرات، الفتى النحيف طويل القامة... هل هو موجود؟

- من؟ إنه أمر محيّر فالجميع هنا نحفاء طوال القامة.

- ماذا أفعل؟ ماذا إذن عن الفتى المجروح في جبهته؟ أرجو أن جروحه ما زالت موجودة.

- أجل، أجل هاهاها ما زالت الجروح موجودة كما هي. إن اسمه تومبو، أي اليعسوب. ألا

ترين أن النظارة الطبية تشبه عيون اليعسوب؟ آه لقد وصل الآن، لحظة من فضلك.

ثم تغير الصوت.

- ألو، أنا تومبو.

- آه، أنا ساحرة ذلك اليوم. اسمي كيكي.

- أها، كيف وصلت إلى الرقم؟! أعتذر عمّا حدث ذلك اليوم. وأتساءل هل صدر عني شيء سيئ آخر؟

- كلا. لقد انتهى ذلك الأمر. أريد منك اليوم أن تساعدني قليلًا.

ثم سألته كيكي عن أفضل وسيلة لحمل لوحة كبيرة بوجود الرياح.

فأجاب تومبو على الفور:

- إذا كان الأمر كذلك، فالطريقة المثلى هي التنزه.

- ماذا تعني؟

- اتركي الأمر لي، أظن أنني أستطيع مساعدتك.

- حقًّا؟! أشكرك. سأذهب حالًا إلى بيت الرسامة، هل تعرفه؟ الكائن على أطراف غابة الحديقة الشمالية، المختبئ وسط الأشجار.

- أعرفه. البيت الذي يشبه بيت حيوان الغرير.

- أجل، أجل هو. أرجو أن تقابلني هناك إذن.

قالت كيكي لنفسها إنه حقًّا يشبه بيت الغرير كما قال. وضحكت من تلك الفكاهة، ثم أغلقت سماعة الهاتف وبدأت بالاستعداد للخروج على عجل.

هبطت كيكي مع جيجي عند طرف الحديقة، فجاء من الجهة الأخرى تومبو يجري حاملًا كيسًا ورقيًا كبيرًا.

وعندما رأت الرسامة كيكي، أتت مسرورة تحمل اللوحة من الغرفة الداخلية.

فصرخت كيكي:

- آه.

وخرخر جيجي بحنجرته في الوقت نفسه.

كانت لوحة تصور ساحرة بفستان أسود مع قط وفي الخلفية سماء مظلمة. يا لجمال بريق ذلك اللون الأسود! نظرت كيكي إلى تنورتها لترى إن كانت بهذا الجمال.

تومبو الذي كان يقف في هدوء، قال فجأة بعدم رضًا:

- العيون مختلفة!

فانتبهت الرسامة لوجود تومبو، فسألته وهي مدهوشة:

- مختلفة، كيف؟

- كيف؟ إن عيون كيكي في الحقيقة أجمل وأوسع.

- أحقًّا؟ تُرى أكان من الأفضل رسمها كما تقول؟ لقد حاولت أن أظهر إحساس الساحرة.

حملقت الرسامة إلى وجه تومبو، وقد ارتسمت الحيرة على وجهها.

فأسرعت كيكي بتقديمه إليها قائلة:

- أه، هذا صديقي. سيساعدني في حمل اللوحة بطريقة أسهل.

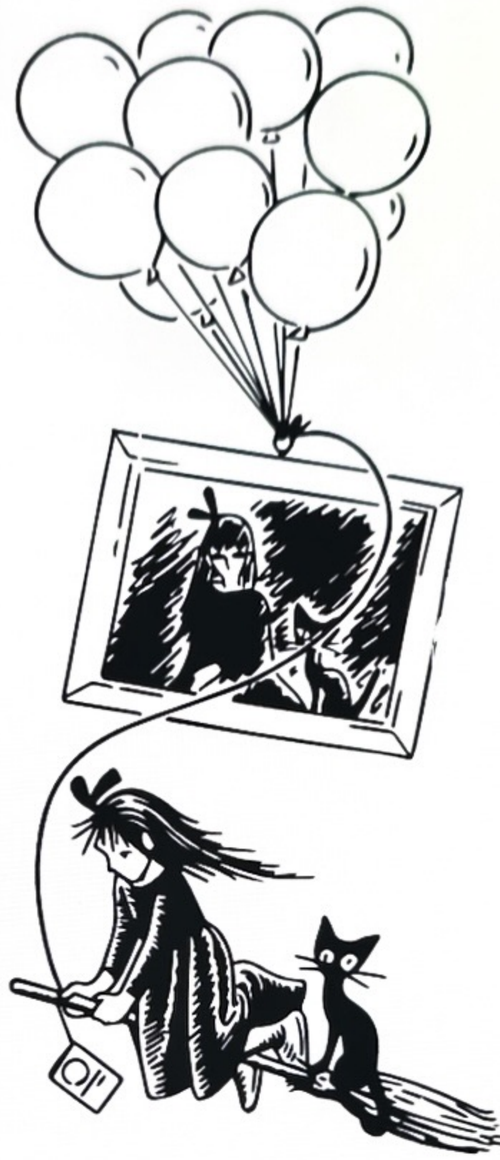
لم يقل تومبو أكثر من ذلك، وزمَّ شفتيه ونظر إلى اللوحة مرة أخرى، وبدأ في العمل. أخرج أولًا من الكيس الورقي بالونات متعددة الألوان.

- بالونات؟ هل ستطيّرون اللوحة بها؟

اضطربت الرسامة وأمسكت اللوحة بقوة.

- كلا سنجعل اللوحة تتنزه. قال تومبو.

ظل تومبو جاد الوجه، وأخرج من الكيس منفاخًا صغيرًا. ثم أخذ ينفخ البالونات واحدة بعد أخرى، وربط بكل واحدة منها حبلًا طويلًا، وفي النهاية ربطها جميعًا في حزمة واحدة، ثم دق مسمارًا معقوفًا أعلى إطار اللوحة وعقد حوله عقدة، وأدخل الحبل الغليظ في تلك العقدة. ارتفعت البالونات في الهواء، فباتت اللوحة تهتز بهدوء فوق مسافة قصيرة من الأرض مباشرة. لم تطِر في الهواء ولم تسقط على الأرض، بل كانت تطفو في توازن مثالي.



ظهرت على وجه تومبو علامات الفخر وهو يقول:

- السر في حجم الهليوم الذي تنفخ به البالونات، وعدد البالونات أيضًا.

ثم توجه تومبو إلى كيكي بقوله:

طيري بها يا كيكي وأنت تمسكين هذا الحبل الغليظ وكأنك تنزهين كلبًا. إذا هبت الرياح وحاولت أخذ اللوحة بعيدًا، فاجذبي الحبل تجاهك وسوف تطيعك اللوحة.

فنظرت الرسامة تجاه كيكي والقلق بادٍ عليها وقالت:

- أوه، أيسمي لوحتي كلبًا؟

نظرت كيكي بإعجاب إلى تومبو. ما كان ليخطر لها حل كهذا قط، وكانت سعيدة أنه توصل إليه بسهولة.

- يبدو أن الأمر سيسير على ما يرام. سيخف وزن اللوحة كثيرًا، ومهما هبت الرياح من أي مكان، فستتحرك اللوحة بحرية. فكرة رائعة حقًا.

أنهت كيكي كلامها فأظهر تومبو أسنانه البيضاء وابتسم لأول مرة.

وكانت فكرة رائعة فعلًا. طارت كيكي وهي تمسك بالحبل، فتبعتها اللوحة في طاعة وهدوء. وتقدمت إلى الأمام ببطء وتأنٍّ وهي تدور مع الرياح. وقبل الوصول إلى متحف الفنون استطاع الجميع؛ المارة في الشوارع، والناظرون من النوافذ، والمتشمسون فوق أسطح المنازل، رؤية كيكي وجيجي الحقيقيين ورؤية اللوحة التي صورتهما في الوقت نفسه.

فهمس بعضهم قائلًا:

- الشبه متقن جدًا، حتى لم نعد نعرف الأصل من الرسم.

ومنهم من همس:

- من الصعب رسم فتاة تلبس فستانًا أسود مع قط أسود.

وهناك من همس قائلًا:

- إنها أفضل من الأصل!

لقد نالت إعجابًا كبيرًا على أي حال.

وفي المتحف، تجمّعت أعداد غفيرة أمام تلك اللوحة التي جُعل عنوانها «أجمل أسود في العالم».

ولا داعي إلى وصف فرحة الرسامة اللامتناهية. فرسمت على لافتة محل كيكي رسمًا جميلًا لها ولجيجي على سبيل الشكر. ولكن الأهم من ذلك، أن كيكي عُرف عملها في كل ركن من أركان مدينة كوريكو، فتحقق لها ما أسماه جيجي «الدعاية والإعلان».

ومنذئذ باتت كيكي مشغولة على الدوام في العمل، وبات الجميع يطلبون منها التوصيل بأريحية؛ زهور أعياد الميلاد، وصندوق وجبة الغذاء المنسية في البيت، والحساء المرسل إلى الجدة العجوز التي تعيش وحدها، بل أوصلت مرة إلى طبيب سماعته الطبية التي نسيها. ولكن حاول البعض استغلال كيكي فطلبوا منها طلبات سخيفة، كأن يقال لها احملي لي حقيبة الدراسة واتبعيني إلى المدرسة، أو من يقول لها أبلغي شتائمي إلى فلان. غير أنها رفضت مثل هذه الطلبات بالطبع.

انقضى الصيف الحار، وأخذ الخريف يستحوذ على المكان شيئًا فشيئًا.

وغدت كيكي أكثر تحكمًا في مقشتها، وأخذت حياتها تمضي في انتظام حسن. ولكنها كانت متعكرة المزاج مؤخرًا دون سبب واضح لذلك، وكدر صفوها شيء مجهول.

همست كيكي لنفسها من حين إلى آخر:

- لا بد أن السبب هو التعب، لأن أموري كانت دائمًا متعسرة منذ قدومي إلى هذه المدينة.

غير أنها في أعماقها تدرك أن ذلك ليس هو السبب.

فمنذ أن حملت لوحة الرسامة بطريقة النزهة، بات تومبو فتى نادي الطيران يزورها في المحل كثيرًا. وفي إحدى المرات قال لها كلمة ظلت ترن في رأسها:

- أشعر بأريحية معك يا كيكي، ربما كان ذلك لأنك تطيرين في السماء أو ما شابه. وأستطيع التحدث إليك في أي شيء. لم أرَ فتاة مثلك في هذه المدينة.

حينها عدّت كلمات تومبو تلك مديحًا، ولكنها باتت مع مرور الأيام تجد قوله «لم أرَ فتاة مثلك» غصة في قلبها.

- لقد قال في ذلك اليوم إن عينيّ أجمل من اللوحة، لكنه اليوم يقول إنه لم يرَ فتاة مثلي في كوريكو.

ماذا يعني بقوله هذا؟ هل فتيات المدن الكبيرة مختلفات؟ فيمَ أختلف عنهن؟

كانت تشعر كيكي بضيق لا ينفك.

ذات يوم ضاعت إحدى فردتي صندلها، فصرخت في وجه جيجي:

- أنت تتعبني! لا مانع أن تلهو بالصندل، شرط أن تعيده إلى مكانه بعد ذلك. كم مرة كررت هذا؟ لم يبقَ عندي إلا فردات مختلف ألوانها.

تظاهر جيجي بعدم سماعها، وتثاءب بتكاسل عميق.

وهنا رن جرس الهاتف. فقفزت كيكي، وهي تلبس فردة صندل ورفعت السماعة.

فسمعت صوتًا يتأنى في كلامه:

- هل هذا محل الساحرة؟ تحية طيبة.

فأجابت كيكي شاردة الذهن:

- ها... أجل.

- هل يمكن أن أطلب أي شيء؟ لديَّ ما أريد منك توصيله.

- ها...

- إنه بسكويت. إن أختي الكبرى أقحوان، وأنا اسمي بنفسجة. محرج أن يكون للمرء اسم طفولي رغم تقدمه في العمر. هاهاها.

تنحنحت كيكي رغم معرفتها بأن في هذا وقاحة. فالسيدة استرسلت في الحديث ولم تقل ما تريد.

- ستذهبين إلى بيت أختي الكبرى لاحقًا، ولكن هل تعرفين شارع الماعز أولًا؟ بيتي يقع في آخره، المبنى رقم تسعة تسعة. أي تسعة وتسعون، هل تعرفينه؟

- أجل، أعرفه سأصل فورًا.

لم تنتظر كيكي أن تنهي المرأة حديثها، بل أغلقت سماعة الهاتف. ثم ركلت الصندل تخلعه من قدمها إلى ركن الغرفة.

عرفت كيكي على الفور المبنى التاسع والتسعين في شارع الماعز.

جذبت الحبل المتدلي من جانب الباب، فصدر صوت صليل ناعم، وسمعت من يقول لها من خلف المنزل: «تعالي هنا من فضلك». دخلت كيكي في زقاق موازٍ للبيت فوجدت بابًا خشبيًا مفتوحًا، ووجدت في حديقة البيت امرأة عجوزًا تشمّر عن ساعديها بهمة، وهي تجلس وسط كمية كبيرة من الغسيل.



صُفَّت أربعة أحواض كبيرة، أحدها للملابس البيضاء، والآخر للسوداء، والثالث للزرقاء، والرابع للحمراء. تلألأت فقاعات الصابون في أشعة الشمس، وطافت في المكان كأنها كائنات حية. كانت الفقاعات في حوض الأبيض بيضاء، وسوداء في حوض الأسود، وزرقاء في حوض الأزرق، وحمراء في حوض الأحمر.

دخلت كيكي من الباب الخشبي وسألتها:

- هل أنت الجدة بنفسجة؟

أومأت الجدة برأسها وهي منهمكة في الغسيل. كان شعرها قصيرًا كأنه شعر مستعار خالطه الشيب، وتناثرت على جبينها حبات مستديرة من العرق.

- أنا كيكي لخدمة التوصيل السريع.

مسحت الجدة بنفسجة يديها سريعًا في مئزرها، ورفعت نظرها تجاه كيكي.

- أليس محل الساحرة؟

- بلى، أعمل في توصيل الأشياء.

- لقد سمعت أنك ساحرة. وظننت أنك تعملين أي شيء يُطلب منك، فتسلبيني عملي بهذا ولن أجد ما أكسب به عيشي! يسرني معرفة أن عملك هو التوصيل فقط. أنا أيضًا أقوم بعمل نادر. هاهاها، فأنا متعددة الصنائع. يشبه عملي عملك، أم لعله لا يشبهه؟

ضحكت الجدة بنفسجة من قولها.

- ولكن مجيئك أنقذني. أنقذني حقًا.

وضعت الجدة بنفسجة يديها في الحوض مرة أخرى وواصلت الغسيل.

- إن أختي الكبرى عنيدة. إن قلت لها سأحضر لك شيئًا اليوم، فلا بد أن تحصل عليه اليوم قطعًا وإلا انزعجت. انتظري قليلًا، سوف أغسل هذا سريعًا.

قالت الجدة بنفسجة ذلك وهي تضع الصابون على قميص أبيض، ثم ترنمت بأغنية تحثها على الإسراع: «افركي وادعكي».

- أود أن أسكن مع أختي الكبرى، لأن توصيل كل شيء أمر مرهق. ولكنها تقول إن الحياة بمفردها أكثر راحة. حسنًا، افركي وادعكي واشطفي واعصري. ورغم ذلك لا تستطيع أن تصنع بسكويتًا بمفردها! افركي وادعكي! عليّ أن آخذ لها شيئًا، أو أذهب للحديث إليها مرة

الأسبوع على الأقل. ليس لي أخت سواها وليس لها أخت سواي. ارفعي هيا وافركي وادعكي واشطفي وعصري. لم تختفِ هذه البقعة، سأفركها مرة أخرى، افركي وادعكي. أجل، أجل، ولكني اليوم مشغولة جدًا ولا أستطيع الذهاب.

مرة أخرى رفعت الجدة بنفسجة نظرها تجاه كيكي دون أن تتوقف عن الغسيل.

- يا لك من جميلة، أعتذر عن جعلك تنتظرين. لقد كان الطقس سيئًا حتى البارحة، أليس كذلك؟ لم يتراكم الغسيل عندي هكذا قط في حياتي! والزبائن يشتكون من تأخري. يجب عليّ أن أجففها سريعًا. افركي وادعكي، واشطفي واعصري.

اتسعت عينا كيكي دهشة فقالت:

- هل ستغسلين هذا كله؟

- أجل، بالطبع.

- بيدك؟

- أجل، فليس لديّ غسالة. أؤدي أعمالًا غريبة لأساعد الناس في تدبير شؤونهم، لذا عليّ تدبير أمري بيديّ.

استمرت الجدة بنفسجة تحرك يديها كالآلة وهي تتكلم. وانبهرت كيكي من سرعتها ومهارتها. فهي تفرد الغسيل فوق اللوح، وتضع الصابون ثم تبدأ الفرك افركي وادعكي، بعد ذلك تفرده بيديها معًا، اشطفي واعصري، وتنظر هل اختفت البقع أم لا.

افركي وادعكي

واشطفي واعصري

غنت الجدة بنفسجة بهدوء غناء يواكب حركاتها. واستمرت الفقاعات تطير في الهواء من حولها.

وفي لمح البصر، انتهت من غسيل الثياب البيضاء والسوداء والزرقاء والحمراء. وسحبت خرطوم الماء، وبدأت تشطف الغسيل، وهي تغني الأغنية نفسها: افركي وادعكي، واشطفي واعصري.

كانت كيكي تتأملها في نشوة، ونسيت تمامًا أنها جاءت في عمل.

وأخيرًا كُوِّم الغسيل الذي عُصر في المعصرة الخشبية كجبل كبير ملأ السلة المصنوعة من

الأعواد المبرومة، في قعرها الثياب البيضاء فالسوداء فالزرقاء فالحمراء. ونهضت الجدة بنفسجة ووضعت يدًا على ظهرها، ونظرت إلى السماء عاليًا وهي تتنفس الصعداء.

- حسنًا، حان وقت نشر الغسيل.

أحضرت الجدة بنفسجة حبلًا من الكتان، وأمسكت طرفه وفكرت قليلًا. ثم قالت لكيكي التي تقف بجوارها حاملة المقشة وجيجي:

- أعتذر لك، ولكن أيمكنك أن تمسكي لي طرف هذا الحبل؟ سأنشر عليه الغسيل. يجب أن يكون الحبل طويلًا، لأن الثياب كثيرة كما ترين.

أعطت الجدة بنفسجة طرف الحبل لكيكي دون أن تنتظر ردًا، وأخذت من الغسيل أولاً شريطًا أحمر وعلقته بالحبل.

- يجب نشر الأشياء الصغيرة أولًا.

قالت الجدة بنفسجة ذلك كأنها تغني هذه المرة أيضًا، ثم علقت بيدها الماهرة جورب طفل، فتنورة طفلة، فقميص امرأة. وفي كل مرة راحت كيكي تبتعد قليلًا عن الجدة بنفسجة. ثقل الحبل بالغسيل وبات يتدلى في شكل دائري.

فرفعت كيكي صوتها صارخة:

- سوف يلمس الأرض!

فصرخت الجدة بنفسجة كذلك:

- أه، ورطة. حسنًا، قفي على أصابع قدميك!

ثم علقت بالحبل مفرش طاولة أحمر كبيرًا.

- أه، هذا لا ينفع. سيلمس... سيلمس الأرض.

وضعت كيكي طرف الحبل الذي تمسكه فوق رأسها وقفزت في الهواء.

- ارفعيه أعلى قليلًا. آه، أرجوكِ، ألا تطيرين قليلًا بالمقشة؟

قالت الجدة بنفسجة ذلك وهي تنظر إلى الأعلى.

- أه، ربما تكون فكرة جيدة.

بدون تفكير أومأت كيكي، وامتطت المقشة وطارت إلى مستوى سطح البيت.

انحنت الجدة بنفسجة على سلة الغسيل. هذا دور الثياب الزرقاء، وبدأت بالأصغر حجمًا.

منديل الأم، قبعة الابن، سروال الأب، لباس البحر للابنة، قميص الأب، ستارة النافذة، ملاءة السرير السماوية اللون. نشرت كلها متتالية، ثم انتقلت إلى الثياب السوداء.

كاد الغسيل أن يلمس الأرض مرة أخرى، فارتفعت كيكي وطارت أعلى من السطح. مسحت الجدة بنفسجة عرقها وواصلت نشر الغسيل.

جوارب الأب، بنطال الابن، تنورة الأم، فستان الجدة. ثم انتقلت إلى الثياب البيضاء. قفازات الرضيع، فمريلته، فسرواله وملابسه، وانتقلت إلى القطع الأكبر. قميص الأم الداخلي، بنطال الأب القصير، وفي النهاية اصطفت خمسة قمصان.

فقالت الجدة بنفسج بصوت فرح:

- آه، أخيرًا انتهيت.

ثم ربطت طرف الحبل في السور الذي بجانبها.

فصرخت كيكي بصوت عالٍ وهي تهز الطرف الآخر من الحبل في مكان قصي أعلى السطح.

- ماذا أفعل بهذا؟

- أوه، هذه ورطة! ماذا نفعل؟

نظرت الجدة بنفسجة عاليًا ورفعت يديها من الدهشة ثم قالت:

- معذرة، ابحثي عن مكان مناسب واربطي فيه طرف الحبل.

فصرخت كيكي:

- ولكن...

فلا يُعقل وجود مكان مناسب في الهواء يمكن أن يُربط به الحبل. وإن وُجد، فلن يكون إلا كيكي في طيرانها. وإن أفلتته من يدها، فسيتوجب غسل الملابس من جديد. لم تجد كيكي فائدة من الكلام، فجذبت طرف الحبل بكل قوتها وهزت كتفيها وربطته في خصرها.

نظر جيجي من فوق خصلات المقشة إلى الأسفل، وأخذ يتأمل حبل الغسيل الذي يرفرف كالرايات وقال:

- واو، كأنما نبت لنا ذيل عملاق.

وفي الأسفل، صفقت الجدة بنفسجة، وقفزت قفزات سريعة وهي تقول:

- أوه، يا للروعة! يشبه رايات اليوم الرياضي. استعد! انطلق! أسرع! أسرع! اقفز! اقفز! اجتهد!

دُهش المارة في الطرقات، فوقفوا جميعًا ينظرون إلى السماء.

وتجمع الأطفال وهم يهتفون:

- كأنها طائرات ورقية متعددة الطبقات!

حاولت كيكي أن تعبس وقالت:

- هذا ليس طريفًا!

ولكنها لم تستطع كبح ابتسامتها. ما باليد حيلة، يجب أن يجف الغسيل سريعًا.



بدأت كيكي تطير وتدور ببطء في مكانٍ عالٍ جدًّا في سماء حديقة الجدة بنفسجة. وكلما هبت الرياح عليها، شعرت أن الكآبة والأحزان التي تراكمت في الآونة الأخيرة داخل قلبها تطير وتزول مع الرياح. فترنمت كيكي بالأغنية التي سمعتها من الجدة بنفسجة منذ قليل:

افركي وادعكي، اشطفي واعصري...

كان الغسيل الذي يصطف وراءها متتابعًا يرفرف مصدِرًا صوتًا كأنه موسيقى تصاحب غناءها. افركي وادعكي، واشطفي واعصري...

راحت شمس بدايات الخريف وهواؤه الصافي يجففان سريعًا الغسيل الذي يحلّق في

السماء. وسرعان ما تغير صوت رفرفة الغسيل من صوت القماش اللين الندي، إلى صوت القماش الخفيف الجاف.

- شـكــرًا لــك.

جذبت الجدة بنفسجة الحبل من الأسفل. ثم راحت ترفع الغسيل الجاف من عليه قطعة بعد قطعة، وأثناء ذلك كانت كيكي تخفض ارتفاعها شيئًا فشيئًا.

صنعت الملابس البيضاء والسوداء والزرقاء والحمراء جبالًا طرية في السلة، وأخيرًا هبطت قدما كيكي على الأرض. فهرولت إليها الجدة بنفسجة.

- لقد أنقذتِني بجعله يجف بهذه السرعة.

- يا لك من خبيرة في تدبير الأمور! لقد جعلتني أتدبر الأمر، وأكون بديلًا من منشر الغسيل.

ثم ضحكت كيكي.

هزت الجدة بنفسجة كتفيها، وأخرجت لسانها في طفولية.

- أجل. هو كذلك بالضبط. فهكذا يكون تدبير الأمور. إن نجحنا كانت السعادة نصيبنا، وإن لم ننجح أصابنا الضيق.

قالت الجدة بنفسجة ذلك بصوت مترنم كأنها تغني، ثم حملت سلة الغسيل إلى داخل البيت. دخلت كيكي أيضًا، فوجدت هناك صنوفًا من الأشياء العجيبة.

فباب المدخل منقسم إلى نصفين علوي وسفلي، يفتح المرء نصفه العلوي لإخراج وجهه، أو نصفه السفلي لإخراج قدميه.

فقالت الجدة بنفسجة:

- لقد انكسر الباب، فتدبرت أمري ببابين صغيرين.

امتد حبل من المدخل عُلق عليه جوز ومسامير وملاعق مربوطة معًا.

أشارت الجدة بنفسجة وقالت ضاحكة:

- هذا بديل من الجرس من صُنع يدي، يصدر صوتًا جميلًا عند جذب الحبل.

ونترك ذلك لنجد فردة حذاء طويل زُرع فيه عشب البامباس.

- وهذا بديل عن المزهرية، أليس طريفًا؟

ضحكت الجدة بنفسجة، فتجمع حول عينيها الكثير من التجاعيد الرقيقة.

- أوه، لقد غمرتني السعادة التامة، فنسيت أنك أتيت لتوصيل البسكويت إلى أختي الكبرى.

يبدو أنها تذكرت طلبها الأصلي أخيرًا. فزمت شفتيها في خجل، وأتت من المطبخ بكيسين من الورق.

- تسكن أختي الكبرى في البيت المدبب الكائن في شارع الشجر الذابل. إنه أكثر البيوت المدببة في الشارع. أجل، وهذه لك، تعبير بسيط عن شكري وامتناني. هذا البسكويت اسمه بسكويت غبار النجوم. لقد أخطأت عند خبزه، وباتت حباته صغيرة الحجم، فأسميته بهذا الاسم الجميل.

أخذت كيكي الكيس بكل سرور.

أوصلت كيكي البسكويت إلى البيت المدبب، فقالت لها الأخت الكبرى أقحوان:

- لا تأتي بنفسها لتوصيله وترسله مع شخص آخر! أوه يا لها من مدللة! يجب أن أوبّخها.

لكنّ عيني أقحوان امتلأتا سعادة حين استرقت النظر إلى ما في الكيس.

لو مررت قرب محل كيكي في تلك الليلة، لسمعت تلك الأغنية بين حين وآخر:

هكذا تدبر المرأة ذات الصنائع المتعددة أمرها

إن نجحت كانت السعادة نصيبها

وإن لم تنجح أصابها الحزن

غنت كيكي وجيجي وهما يحملان فردة الصندل الوحيدة؛ هذا مكبر صوت من صنع أيديهما ليتدبرا أمرهما.

الفصل السابع

كيكي تطَّلع على سّر

سُمع قرع على باب المحل.

طُن طُنطُن.

فهُرعت كيكي تنزل من الطابق العلوي. فتحت الباب فوجدت فتاة يحيط بوجهها شعر بني غامق بحنان، وتلبس سترة وردية فاتحة تليق بها تمامًا. وفي ساقيها الرشيقتين يلمع حذاء أبيض طويل يصل إلى ركبتيها. أعجبت كيكي بمظهر الفتاة التي بدت تطفو في الهواء.



- أه... أ... أهلًا بك.

توترت كيكي تمامًا فلم تخرج الكلمات من فمها، فهذه المرة الأولى التي تستقبل فيها زبونة في مثل عمرها.

وإذ رأت الفتاةُ كيكي، أخذت نفسًا عميقًا للحظة ثم نظرت إلى الأرض وتلجلجت في كلامها هي الأخرى.

- أنا... إنه... أه.

تمالكت كيكي نفسها قليلًا وقالت:

- أتودين توصيل شيء؟

ظهرت ابتسامة متوترة على وجه الفتاة وأمالت رأسها قائلة:

- سمعت أن المحل يوصل أي شيء. هل أنت فتاة التوصيل؟

- أجل، وعملي متقن. لا داعي إلى القلق.

- حقًّا!

أومأت الفتاة وتألقت مقلتاها السوداوان، ثم طرفت بجفنيها ببطء شديد كأنها تتعمد هذا البطء.

- أريد منك أن توصلي شيئًا، ولكنه سر.

فسألتها كيكي بدهشة:

- سر؟

رفعت الفتاة ذقنها ونظرت إلى كيكي، واستندت إلى إطار الباب. رأت كيكي مشبكًا فضيًا يلمع في ياقة سترتها.

- أريد منك توصيل هدية إلى الفتى أي. فاليوم عيد ميلاده الرابع عشر. أليس رائعًا؟

قالت الفتاة ذلك متباهية بعيد ميلاده، كأنها هي التي اخترعت عيد ميلاده.

فغمغمت كيكي بضيق:

(أليس رائعًا؟ ما الرائع في ذلك؟).

وواصلت الفتاة الكلام:

- ولكنني أريد منك ألا تخبريه أن الهدية مني.

فسألتها كيكي بنبرة مشاكسة:

- أوه، لماذا؟

- لماذا؟ إنني أعرف أي منذ الطفولة، وهو لا يراني الآن إلا الطفلة الصغيرة التي كان يلعب معها. رغم أنني بتُّ في الثالثة عشرة من عمري.

- ولهذا تجعلين الأمر سرًّا؟ أمر عجيب!

نظرت الفتاة إلى كيكي وضحكت بفخر:

- ألا تفهمين هذا الشعور؟

زاد ضيق كيكي منها أكثر وأكثر.

- انتظري، هل الهدية مخيفة؟ كأن يفتحها فتقفز في وجهه ضفدعة مثلًا؟ أنا أرفض توصيل مثل هذه الطلبات.

- هاهاها... يا لك من...

ضحكت الفتاة مجددًا ضحكة متعجرفة.

- لقد سمعت أنك ساحرة، ولكنك لا تعرفين أي شيء. هل تظنين أن كل الفتيات اللاتي يماثلنك عمرًا يلعبن هكذا؟

غضبت كيكي ونظرت إليها شزرًا. ولكن الفتاة رفعت شعرها بيدها والملل يكسو وجهها، ثم دست يدها في جيب تنورتها.

- لقد أنفقت كل مصروفي واشتريت قلمي حبر متشابهين، أحدهما لي والآخر له. هذا هو... انظري!

أخرجت قلمًا فضيًّا، ثم قلبت ياقة السترة، وأرت كيكي قلم حبر آخر مشبوكًا بالياقة. وما ظنت كيكي أنه مشبك زينة كان غطاء قلم الحبر.

- حمل أشياء متشابهة هي التقليعة السائدة الآن.

قوّمت الفتاة كتفيها متباهية بنفسها.

كانت كيكي على وشك أن تقول ببساطة: «أحقًّا هذا!» ولكن هذه زبونة ويجب أن تأخذ منها ما تطلب توصيله وتقول: «فهمت، على الرحب والسعة».

إلا إنها عندما فتحت فمها وجدت نفسها تقول بلا تفكير:

- حسنًا، كيف يتحقق هذا، رغم أنه لن يعرف أنكِ من أرسل القلم؟

- أجل. ولكن يكفي أن أعرف أنا.

مرت الفتاة مرور الكرام على الكلمات التي حمّلتها كيكي أقصى ما تستطيع من وقاحة. بل نظرت الفتاة إلى الفراغ وسرحت في خيالها.

فقالت لها كيكي كأنها تلاحقها:

- إنها هدية جميلة، ما رأيك أن تعطيها له بنفسك؟ فالأمر بسيط.

- كلا... فأنا شديدة الخجل.

طرفت الفتاة جفنيها ببطء، كأنها تقول إن ذلك الحياء حلو. بدت تلك الفتاة أنضج من كيكي بكثير، رغم أن لهما العمر نفسه، فشعرت كيكي بضيق يطبق على صدرها.

قالت كيكي مرة أخرى:

- خجولة! أمرك عجيب!

- أوه، ألا تعرفين هذه المشاعر؟

ابتسمت الفتاة ابتسامة واهنة كأنها تأسى لحال كيكي.

فردت كيكي وهي حريصة على ألا تبدو منهزمة أمامها:

- أنت قلقة مما يفكر فيه أي. فربما تزعجه هديتك أليس كذلك؟ أنا أفهم هذه الأمور.

- كلا، لا داعي إلى القلق، لكني أريد أن أخفي الأمر كأنه سر.

حدّقت كيكي في الفتاة لتتأملها مجددًا. فدهشت من أنها تُخفي تحت هذه السترة الوردية الجميلة مشاعر في غاية التعقيد. تُرى هل هذه حال كل الفتيات العاديات؟ ثم تذكرت كيكي فجأة ما قاله لها تومبو.

(لم أرَ فتاة مثلك في هذه المدينة قط).

واصلت الفتاة كلامها:

- ألا تعرفين؟ هكذا يفكر الأولاد. إن عرفوا نصف الحقيقة فقط، فلن يهدأ لهم بال حتى يعرفوا النصف الآخر. ولذلك أريد من أي أن يبحث.

- يبحث عمّن أرسل الهدية؟

- أجل.

- وإن لم يبحث؟

- مستحيل ألا يبحث. سيفعل قطعًا.

بدت الفتاة واثقة بالأمر ثقة مطلقة.

- فهمت. المطلوب توصيل قلم الحبر هذا، أليس كذلك؟

باتت كيكي راغبة في إنهاء الحوار المعقد الذي يبدو أنه سيستمر إلى الأبد.

- من فضلك. ومعه هذا أيضًا...

بحثت الفتاة في جيبها وأخرجت ظرفًا صغيرًا أصفر.

- رسالة، أليس كذلك؟

- بل قصيدة.

- شعر؟ مثل الأغاني؟

- أجل، وأنا الذي ألفته. ألا تعلمين أن الهدايا التي تُرسل للأولاد يجب أن يصحبها شعر؟

بدأ الحديث يعود إلى ما كان عليه فسألتها كيكي بسرعة:

- أين عنوان أي هذا؟

- شارع شجر القرانيا على الضفة الأخرى من النهر الكبير، غرب حديقة الحيوانات. المبنى رقم ٣١٨. ولكنه يلعب كرة المضرب وحده في الملعب المجاور بعد الظهر.

- وأنت؟

- اسمي سر. وأسكن في شارع شجر التورية المجاور لشارع القرانيا.

- إن كنتِ تسكنين قريبًا منه هكذا، فالأفضل أن تذهبي بنفسك.

- ألم أقل...

- فهمت، فهمت.

أسرعت كيكي بهز يدها.

- إذا قابلتِني صدفة فيجب أن تتظاهري بعدم معرفتي. آه... أجل، أجل، يجب أن أدفع إليك المقابل.

ترددت كيكي قليلًا، ثم أجابت:

- أريد أن أعرف ما سيحدث بعد ذلك، إذا كنت لا تمانعين. أرجو أن تعلميني.

خطر لكيكي خاطر شرير استمتعت به، خطر لها أن أي لن يهتم بالبحث عن الفتاة.

- هل تعنين إن كان أي سيبحث عني أم لا؟ يا لك من حشرية. حسنًا، سأعلمك.

بدت الفتاة تثق بنفسها ثقة لا حدَّ لها.

- إن فعلت ذلك فلا داعي إلى الأجر.

- هل هذا كافٍ؟

- أجل فأنا...

بدأت كيكي الكلام ولكن الفتاة قالت:

- تريدين أن تتعلمي كيف تكلمين الأولاد؟ أفهم. أفهم.

أومأت الفتاة كأنها الأكبر سنًا والأكثر خبرة. وبدلًا من أن ترد كيكي غضنت أنفها وحاولت جاهدة أن تكظم غضبها.

غادرت الفتاة فذهبت كيكي إلى المرآة وتأملت صورتها فيها. مشطت شعرها بفرشاة الشعر، وعدّلت ثنية ياقة الفستان الأسود، ولفت وألقت نظرة على قوامها من كل زاوية وقالت لنفسها وهي تجلس على فراشها:

- ربما ظن أي أنني أنا فتاة الهدية، ماذا أفعل عندئذ؟

انقلب جيجي بجوارها على ظهره مذهولًا ثم قال:

- يا للسخافة! لا يمكنني قبول هذا!

ثم تثاءب.

- ألن تأتي معي إذن؟

وضعت كيكي قلم الحبر والظرف في جيبها، وربتت عليهما للتأكيد. فقام جيجي متكاسلًا.

طار الاثنان من أمام المحل، تداعب وجناتهما الرياح التي أخذت تميل إلى البرودة في الآونة الأخيرة. من السماء كانت مناظر المدينة خريفية تمامًا. فقد تلونت أوراق شجر الجنكو، التي يكثر وجودها في هذه المدينة، بلون أصفر فاقع. وبين الفينة والأخرى، كانت ورقة شجر ضالة ترفرف إلى ذلك العلو الشاهق معترضة طريق كيكي وملتصقة بصدرها.

صاح جيجي من خلفها بصوت حاد:

- كيكي، ما لك اليوم تطيرين ببطء شديد؟ أنت تدورين حول المكان نفسه.

- أحقًا ما تقول؟

انتبهت كيكي لنفسها ونظرت تحتها. في الواقع ظلت تفكر مرة بعد مرة في ما بداخل

جيبها وما في داخل الظرف من شعر ألفته الفتاة. لقد كتبت كيكي في صغرها قصيدة تقول:

الحذاء يضحك تاب تابتاب

وإذا وضعتُ القبعة

على رأسي تضحك تب تبتب

أما أنا فأضحك تي هي هي

وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي تصدّت فيها لكتابة الشعر. وأدركت كيكي أن القصيدة داخل الظرف لن تكون طفولية هكذا. تُرى ماذا يقال في قصيدة تكتب للأولاد؟ إنها فتاة جميلة جدًا وناضجة أيضًا، فلا بد أنها كتبت شعرًا رائعًا. تخيلت كيكي أمورًا كثيرة، فخفق قلبها من الإثارة. وكلما فكرت أنها يجب ألا تقرأه، زاد انشغال بالها بالظرف.

- جيجي، أريد أن آخذ راحة قصيرة على ضفة النهر تلك.

- لقد طرنا قبل قليل.

- لكنه الخريف.

أجابت كيكي رغم معرفتها أن هذا ليس بسبب. وبدأت هبوطها فحلقت راسمة في الهواء دائرة كبيرة كطيران الحدأة. وأخيرًا لمست قدماها أرض متنزه محاذٍ للنهر الكبير.

كان المتنزه خاليًا من البشر، والأراجيح تهزها الرياح. وخلفها يتدفق النهر الكبير محدثًا أمواجًا بيضاء من حين إلى آخر.

- تستطيع يا جيجي أن تذهب للعب في أي مكان لوقت قصير.

أسندت كيكي المقشة على جذع شجرة جنكو تتساقط منها الأوراق الصفراء الفاقعة، وجلست عند جذورها التي غطتها الأوراق المتساقطة.

- لا بأس. سأبقى هنا، فالجو بارد. يبدو أن الخريف انتهى سريعًا.

- أوه يا جيجي.

ابتسمت كيكي ابتسامة مقتضبة.

- ما رأيك لو ذهبت في نزهة؟ انظر فالضفة تمتلئ بنبات ذيل الثعلب، وأعرف أنك تحبه.

كررت كيكي طلبها مرة أخرى.

نظر جيجي بعينين حادتين وقال:

- هل يزعجك وجودي؟

رفعت كيكي شعرها الذي أشعثته الريح، وقالت مازحة:

- أجل يزعجني.

- أنت تخفين سرًا، أليس كذلك؟

- أجل، هل تمانع؟ لكني لن أكسره ولن أضيعه ولن أوسخه. سألقي نظرة سريعة!

- عمَّ تتحدثين؟ عبس جيجي وحملق إليها.

- لا تغضب يا جيجي! أريد أن أرى القصيدة مهما حدث. أعرف أنه فعل سيئ، ولكني أريد رؤيتها. ألا يمكن القول إنه درس للساحرة التي تعيش رحلة النضج؟

ترقبت كيكي ردة فعل جيجي.

- لا أدري لماذا تحتاجين كل هذا الشرح المعقد. اقرئيها فحسب. هذا كله بسبب الفتاة المتكلفة ذات السترة الوردية، صحيح؟ ولكنه سيكون درسًا لي أيضًا. فاقرئيها بصوت عالٍ.

- آه، جيجي.

وعلى الفور أخرجت كيكي الظرف من جيبها. رُسمت على غلاف الظرف طاقة ورد بارزة.

- أرجو أن يكون سهل الفتح.

رفعت طرف الظرف بهدوء، فانفتح الصمغ مصدرًا صوتًا جافًا. كانت في داخله ورقة مطوية نصفين لها تصميم الظرف ذاته، كُتبت عليها قصيدة بخط جميل كثير المنحنيات.

بدأت كيكي قراءة القصيدة:

عيد ميلاد سعيد

ليتني أستطيع قولها

ولكن الخجل يعتريني فأتراجع

عيد ميلاد سعيد

أريد أن أقولها وأنا أنظر إلى عينيك

ولكن الخجل يعتريني فأتراجع

أريد أن أقدم إليك هدية

من يدي إلى يدك

ولكن الخجل يعتريني فأتراجع

قلبي يمتلئ بالتهاني لك

ولكن الخجل يعتريني فأتراجع

وضعت كيكي الرسالة في حجرها، فقال جيجي وهو يقرؤها ثانية:

- إممم، تتراجع مرات كثيرة، كأنها قطة جبانة.

- تُرى هل حقًّا كتبته تلك الفتاة بنفسها؟ لا يماثل ذلك شخصيتها، فقد كانت شديدة الثقة بنفسها.

تعجبت كيكي.

- حسنًا، يجب أن نعيد إغلاق الرسالة ونوصلها.

أمسكت كيكي الظرف بإحدى يديها ومدت الأخرى لأخذ الرسالة، فهبت فجأة رياح رفعت تنورتها، وأفلتت الورقة من يدها وطارت في الهواء. حدث ذلك في لمح البصر، وأسرعت كيكي تجري في ملاحقتها. كلما حاولت أن تمسك الورقة ارتفعت في الهواء واختلطت بأوراق شجرة الجنكو، وراحت تطير كأنها تسخر من كيكي. مدت كيكي يدها أمامها، وهي تتعثر، ثم تجري وتتعثر.



سمعت صوت جيجي المذعور يقول لها:

- المقشة، المقشة. اركبي المقشة بسرعة!

حاولت كيكي العودة لأخذ المقشة، ولكنها تعثرت بجذر شجرة فوقعت على الأرض.

صرخ جيجي:

- أهـــه. لقد سـ... سقطت

نهضت كيكي وهي ترى من بعيد الورقة الصفراء تسقط في النهر وتنجرف في مياهه.

- آ... آ... آه.

لاحقت كيكي الورقة بصوتها فقط، بينما لم تكن قدماها بمثل سرعة الصوت. وحين وصلت كيكي إلى الضفة، اختطف الماءُ المتدفق الورقةَ، ولم تعثر لها على أثر في أي مكان.

- ماذا نفعل؟

وقفت كيكي مذهولة.

فقال لها جيجي من خلفها:

- الخطأ ليس خطئي هذه المرة.

- هذا عقاب من يتلصص على رسائل الآخرين.

تهدلت كتفا كيكي. ما باليد حيلة، إلا الاعتذار.

- ما رأيك لو قلت له الشعر شفويًا؟

بذل جيجي قصارى جهده لمواساة كيكي.

- هذا لا ينفع. فأنا أعرف أهمية الرسالة عندها. أنا أيضًا لن أقبل أن يتلو أحدٌ ما قصيدتي على أسماع الشخص المطلوب.

- إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تكتبينه على ورقة من ورق الشجر المتساقط هنا وهناك؟ فأنا أحفظ النص كله تقريبًا.

- أجل. فهو لا يعرف من تكون صاحبة الرسالة.

- سيكون الأمر على ما يرام.

- كان السطر الأول «عيد ميلاد سعيد»، أليس كذلك؟ حسنًا، هلَّا ساعدتني يا جيجي؟

نظرت كيكي حولها واختارت ورقة كبيرة من أوراق شجر الجنكو، وجلست مرة أخرى تحت الشجرة. ثم أخرجت قلم الحبر الهدية من جيبها ونزعت الغطاء وبدأت تكتب.

- بعد «عيد ميلاد سعيد» تقول: «ليتني أستطيع قولها».

- أجل. ثم بعد ذلك «ولكني أتراجع في الآونة الأخيرة».

- كلا، لم يكن «في الآونة الأخيرة»، بل كان «لسبب ما». وبعد ذلك «أريد أن أنظر إلى عينيك»، ثم «أتراجع خجلًا»، أليس كذلك؟

- لا يبدو أنها بارعة في قرض الشعر، فهي تكرر القول نفسه مرات ومرات.

- أحقًّا ما تقول؟ لقد أعجبتني عندما قرأتها قبل قليل. وتنتقل بعدُ للكلام عن الهدية.

- قلم الحبر أليس كذلك؟

نظرت كيكي إلى قلم الحبر في يدها.

- هذا اختيار رائع! الكتابة به سهلة جدًّا. بعد ذلك: «هديتان متماثلتان، قلما حبر فضيان».

نظر جيجي إلى السماء وهو يفكر، ثم قال لكيكي وهي تكتب:

- لم يكن فيها كلمة فضي.

- ولكنني كتبتها بالفعل. لا بأس، فلونه فضي. بعدها «من يدي إلى يدك»، أحببت هذا السطر لأنه شاعري جدًّا. ثم تكرر: «أتراجع خجلًا» مهلًا، هل كانت «أتراجع»؟ هل تكرر كل هذه المرات؟

- كلا، لم تكن «أتراجع» بل كانت: «لسبب ما، الأمر يشبه لعبة الغميضة».

- أنت على حق يا جيجي. أتذكر نهايتها بوضوح: «قلبي يمتلئ بالتهاني، ولكني ما زلت ألعب الغميضة». أوه، جيد جدًا. استطعنا كتابتها كما هي.

تنفست كيكي الصعداء.

فاختلس جيجي النظر قائلًا: «أريني، أريني» ثم أومأ موافقًا وقال: «عمل بارع».

فقرأا القصيدة التي استعاداها من ذاكرتهما:

عيد ميلاد سعيد

أريد أن أقولها

ولكني لسبب ما أتراجع خجلا

عيد ميلاد سعيد

أريد أن أنظر إلى عينيك

ولكني لسبب ما أتراجع

هديتان متماثلتان، قلما حبر فضيان

من يدي إلى يدك

ولكن لسببٍ ما يشبه الأمر لعبة الغميضة

قلبي يمتلئ بالتهاني

ولكني ما زلت ألعب الغميضة!

طارت كيكي مع جيجي، وعبرت النهر الكبير متفادية المباني الشاهقة بالدوران حولها، وعندما رأت تجمع الناس عند حديقة الحيوانات، بدأت في الهبوط ببطء.

لفت نظرَ كيكي ملعبٌ في منتصف شارع شجر القرانيا، وعلى العشب الذابل وقف فتى وحيد يضرب كرة بالمضرب تجاه الحائط.

- إنه هذا الفتى.

وجهت كيكي مقبض مقشتها إلى الأسفل بسرعة.

نزلت كيكي في ركن الملعب واقتربت من الفتى وكلمته:

- أنت الفتى أي، أليس كذلك؟ عيد ميلاد سعيد.

- ماذا؟ لي أنا؟ هل تعرفيني؟

كان وجهه قد لفحته أشعة الشمس، وعيناه تتحركان في فضول.

- لقد بلغتَ الرابعة عشرة من العمر، أليس كذلك؟ معجبتك السرية فتاة أخرى، إنما أنا مرسال فقط.

ضحكت كيكي كأنها تثير غيظه.

- فتاة أخرى؟ من تكون؟

- تُرى من تكون؟ إنها من هذه المدينة وهذه هدية منها.

أخرجت كيكي قلم الحبر والظرف من جيبها.

- أوه. جميل. يلمع كأنه صاروخ.

رفع الفتى قلم الحبر عاليًا وأخذ يدوِّره كالصاروخ، ثم علقه بياقة قميصه، وضرب عليه بيده ضربة واحدة.

فأشارت كيكي إلى ياقة الفتى وصرخت في ذهول:

- يا للروعة، أنتما متشابهان الآن!

- هل اسمها مكتوب في هذه الرسالة؟

أوشك الفتى على فض الرسالة، فتذكرت كيكي ورقة الشجر داخله فقالت له:

- أوه، وما أدراني؟ حسنًا، حان وقت رحيلي.

هكذا قالت بلا تفكير، وأدارت له ظهرها على الفور وأخذت تبتعد.

فلاحقها صوت الفتى وهو يقول:

- انتظري، من هي حقًّا؟ أخبريني.

هزت كيكي رأسها بالنفي دون أن تنظر خلفها ثم أجابت صارخة:

- لقد وعدتها ألا أخبرك.

(أظنها محقة، يريد أن يعلم.)

ثم تخيلت كيكي وجه الفتاة وقد ارتسمت عليه علامات السرور.

مرت ثلاثة أيام، ثم أتت تلك الفتاة مندفعة إلى محل كيكي وكأنها ورقة شجر جلبتها الرياح إلى هنا. فطأطأت كيكي عفويًا لأنها أضاعت الرسالة. ولكن الفتاة قالت لها كأنها تغني:

- الآنسة الساحرة؟

ودارت على إحدى قدميها دورة كاملة، ولمع حذاؤها الأبيض الطويل.

- إن الفتى أي عثر عليَّ. ثم سألني: الهدية منك أليس كذلك؟

فأجابت كيكي مبتهجة:

- رائع!

- ولكن حدث أمر غريب، فقد قال الفتى أي شيئًا عجيبًا. قال: إن فكرة ورقة الشجر المتساقط تلك فكرة رائعة. تُرى هل جاءت ورقة شجر من السماء واندست في الظرف أثناء طيرانك؟ ولكن هذا ليس مهمًا. فقد عرف أن الفتاة هي أنا. لم يعرف من ورقة الشجر بل من قلم الحبر. انظري! لقد وضعه هنا في المكان نفسه.

أشارت الفتاة إلى ياقتها ثم ضحكت في سعادة.

تبدد توتر كيكي عندئذ كأن شيئًا لم يكن. وعزمت على أن تخبرها:

- إذا أردت الحقيقة فإنني...

فقالت الفتاة في الوقت نفسه:

- إذا اعترفتُ لك...

- ماذا؟

وتبادلتا النظر ثم قالت الفتاة:

- تحدّثي أنت أولًا أيتها الساحرة.

- لقد فعلت شيئًا سيئًا.



نظرت كيكي إلى الأرض، وقصّت كل ما حدث من قراءتها لقصيدة الفتاة وتطاير الورقة مع الرياح، ثم وقوعها في النهر، وكتابتها القصيدة على ورقة شجر وإعطائها للفتى أي.

فصرخت الفتاة بشيء من خيبة الأمل:

- حقًّا!

- أعتذر لك. ولكنني تذكرت القصيدة وكتبتها بحذافيرها. عندما أتيتِ إلى محلي بدوت كمن يعرف كل شيء رغم أنك تماثليني عمرًا. فانتابني فضول لقراءة قصيدة تكتبها فتاة مثلك. ولم أطق صبرًا. أرجو منك أن تغفري لي.

- صحيح؟ هل كان هذا شعورك؟ إنه مثل شعوري نحوك.

وأضافت الفتاة:

- لم أكن واثقة مطلقًا بأن الفتى أي سيبحث عني. وإن ذكرت اسمي، فلا أظنه كان سيبحث عني ولن يهتم للأمر. ولكن عندما جئت لأطلب منك توصيل الهدية، بدوتِ لي أكثر نضجًا وذكاء مني رغم أننا متماثلتان في العمر. أحسست عندها لسبب مجهول بأنني يجب ألا أبدو مهزومة. أعتذر لك. نحن نتشابه أيتها الساحرة. وربما نتوافق معًا.

ضحكت الفتاة وهي تطرف بجفنيها الجميلين مثلما فعلت المرة السابقة. فضحكت لها كيكي أيضًا، وقالت بصوت به بعض الجدية:

- إنني ساحرة فعلًا، ولكن اسمي كيكي. أرجوك أن تناديني كيكي.

فقلدت الفتاة طريقة كيكي في الكلام وأجابت وهي تضحك:

- إنني فتاة عادية، ولكن اسمي ميمي. أرجوك أن تناديني ميمي.



الفصل الثامن

كيكي تحل مشكلة القبطان

مر أكثر من نصف الخريف، واستمرت الريح الباردة تهب أيامًا. وتساقطت الأوراق الذابلة لأشجار الشوارع منذ زمن بعيد، والتمعت مدينة كوريكو الجافة من نافذة محل كيكي في بياض وصفاء.

كانت الرياح تهب بين المباني الأسمنتية حادة كنصال السيوف، وتسكن فجأة قبل أن تعود من جديد. وكلما هبت الرياح اهتز محل كيكي ذو البناء البسيط وطقطق.

(تُرى هل هطلت أول ثلوج الشتاء في مدينتنا؟)

تذكرت كيكي -وهي تسمع عصف الرياح- بدايات الشتاء في مسقط رأسها. إذ يغدو الجو باردًا فجأة، وترى وهي تطل من النافذة سلسلة الجبال الواقعة خلف الغابة الشمالية قد تغطت بغشاء أبيض، كأنها تعتمر منديلًا صُنع من الدانتيلا. ويهبط البياض شيئًا فشيئًا حتى يغطي كل أنحاء المدينة في غفلة من الزمن. لا يأتي الشتاء في بلدتها في صورة عصف الرياح كما هي الحال في هذا المكان، بل يُعرف مجيئه من خلال بياض الثلوج. في أول شتاء لكيكي بعد تعلمها الطيران بالمقشة، خرجت مع أمها كوكيري التي قالت لها: «أينما وجهت نظرك رأيت بياضًا، أليس كذلك؟ أحيانًا يكون انعكاس ضوء الشمس مبهرًا للأعين، ولذا يجب أن تحذري أثناء الطيران». واصلت كلامها وهي تعلمها أشكال أسطح المنازل: «فما يبدو لك شبيهًا بكعكة الأرز يكون برج مراقبة الحرائق، وهذا الذي يبدو كأنه درجات سلم هو سطح المكتبة العامة، وذاك المربع هو سطح صالة الألعاب الرياضية».

جلست كيكي أمام المحل وهي ترفع ياقة فستانها وتهمس لنفسها:

- يُفترض ألا تتأثر الساحرة بالطقس البارد. ولكن برد هذه المدينة قارس يلدغ.

- السبب هو الفراغ وقلة الحركة.

ضايقها جيجي وهو يقفز ويجلس متكورًا فوق تنورة كيكي.

تُرى هل يصيب البردُ الناسَ بالكسل؟ أم أنهم يتجنبون فعل شيءٍ ما لم يكن ضرورة؟ فقد انخفض الطلب على خدمات كيكي انخفاضًا ملحوظًا.

(في مثل هذا الوقت أحب أن أجلس مع أمي، ملتحفة ببطانية من الصوف نتجاذب الحديث ونشرب مشروبًا دافئًا، كشاي الزعفران مثلًا).

شعرت كيكي بالشوق والحنين إلى أمها كوكيري، وهي تتذكر رائحة الشاي الأصفر الغامق.

ثم همست كيكي سائلة دون أن توجه سؤالها إلى أحد:

- ما أفضل وقت لزراعة الزعفران؟

شعرت بالأسف كثيرًا لأنها لم تتعلم من أمها كوكيري زراعة الأعشاب الطبية التي تزرعها كل عام.

(أكانت تسلق الفلفل الحراق لصناعة الضمادة أم تشويه؟ لقد قالت لي عن شيء يضاف إلى حساء الخضراوات الذي يداوي آلام البطن، فما تراه يكون؟)

حاولت كيكي أن تتذكر الأشياء التي تصنعها كوكيري، لكنها لم تتذكر التفاصيل.

(لماذا كنتُ أرى ما تقوله لي أمي مزعجًا؟ عندما أفكر في الأمر الآن، أرى أن انزعاجي غريب). قطبت كيكي ونظرت إلى الأرض.

أحست فجأة بهبوب الرياح ورأت أربعة عيون تطل من فرجة الباب، فسمعت همسًا:

- سمعت أن عينا قط الساحرة تلمعان بوميض أزرق مخضر مثل وميض مصباح الجيب عندما يبرد الجو. ولكن هذا كذب، فها هو لا يختلف عن القطط العادية في شيء.

- أين؟ أين؟ حقًّا؟ دعني أرى، ولكن ألا ينفث نارًا من فمه إذا فتحه؟ لقد قال ابن الجيران إن قط الساحرة يمكن أن يكون بديلًا من أعواد الثقاب. دعنا ننتظر ونرى.

تبادل كل من كيكي وجيجي النظر، ثم تعمّد أن ينظر نحو فرجة الباب بعينين واسعتين مرعبتين، وفتح فمه ونفث الهواء بقوة. فأغلق الطفلان الباب على عجل صارخين.

- أوه!

- هل رأيت ما حدث؟

- أجل، ولكنه لم يتحول إلى أعواد ثقاب.

- ولم يتحول كذلك إلى مصباح جيب.

- ولم يطلق بريقًا.



- إنه قط أسود عادي ليس إلا.

ثم سمعا وقع أقدام صغيرة تبتعد.

- أعتذر لأنني قط عادي. هذا ما يثير استيائي دائمًا، فلا يكف أطفال الجيران عن مراقبتي.

هكذا اشتكى جيجي إلى كيكي ثم تكوّر من جديد فوق تنورتها.

- أقدر تعبك، فالشهرة وحب الجماهير أمر متعب.

سخرت كيكي من جيجي وهي تطرف بجفنيها.

- لماذا لا تجاريهم وتفعل شيئًا مبهرًا؟ كأن تصبغ فروتك باللون الأحمر الفاقع، أو تضع نظارة شمسية؟

نظر جيجي إلى كيكي نظرة تأنيب، ثم عزم على تجاهلها تمامًا.

رن جرس الهاتف بعد برهة.

- أوه، لقد مر وقت طويل على رنينه. فهل هو عمل يا ترى؟

رفعت كيكي سماعة الهاتف فسمعت صوتًا يتحدث ببطء.

- هذا... محل خدمات... الساحرة... للتوصيل... السريع... أليس كذلك؟ لديّ رجاء... إنني... عجوز. آه انتظري... كنت... أسند... السماعة... إلى كتفي... وكادت تقع... إنني... الآن، مشغولة... في... عمل الإبرة، ويداي الاثنتان... مشغولتان. أنا... العجوز... التي تسكن... في شارع... شجر الزيزفون... المنزل رقم اثنين اثنين... أربعة. أرجوك... أن... تأتي.

انتقلت عدوى الحديث ببطء من العجوز إلى كيكي فأجابت:

طارت كيكي وجيجي على الفور. يقع البيت رقم اثنين اثنين أربعة في شارع شجر الزيزفون على ضفة نُهير متفرع من النهر الكبير. كان بيتًا صغيرًا يمتد منه مرسى صغير للمراكب سماوي اللون. وعندما دخلت كيكي البيت وجدت عجوزًا صغيرة الحجم كذلك تجلس على كرسي وتحيك بالإبرة.

- أوه... انتظري... قليلًا... سوف... أنتهي... على الفور... من نطاق... البطن هذا.

تتحدث الجدة ببطء، وهي توفق حركة فمها مع حركة شغل الإبرة.

- رغم أنني... قلت له... سوف أنتهي... منه سريعًا... ولكن ابني... رحل... قبل الانتهاء... وهو يقول... يا لهذا... الغباء... لا حاجة... لي به... ابني ما زال... في فترة... عناد... المراهقة... آه... أخيرًا... أنهيته.

قطعت الجدة الخيط بالمقص. وحركت كتفيها وعنقها حركات دائرية.

- آه، لقد تعبت.

نظرت إلى عيني كيكي، وهذه المرة تحدثت بسرعة طبيعية:



- بالمناسبة أيتها المرسال، هل بطنك على ما يرام؟

- أجل لقد تناولت الطعام قبل قليل، فلستُ جائعة.

رفعت كيكي عقبيها واستطالت بقامتها لتظهر صحتها القوية.

- ليس هذا ما أعني، أسأل ألا يؤلمك بطنك؟

- مطلقًا. أنا بصحة جيدة جدًا. وأستطيع الذهاب إلى أي مكان مهما كان بعيدًا.

- في مثل هذه الصحة الجيدة من المهم أخذ الحيطة. يجب ألا تدعي البرد يصيب بطنك. والأفضل تدفئته دائمًا. الاهتمام، الاهتمام. لأن البطن مركز الكون، البطن. وأفضل أنواع النطاق ما صُنع من بقايا خيوط الصوف المختلفة، وصنع الكثير من العُقَد. إنه دافئ جدًا. ألا ترين ذلك؟

هزت العجوز رأسها في رضًا دون انتظار رد كيكي. وقالت وهي تنظر إلى جيجي الجالس عند قدمي كيكي:

- أوه، ماذا عنك؟

وردًا عليها أصدر جيجي خرخرة من أعماق حنجرته.

- أوه، لا! هذا الصوت دليل على أن بطنك بارد. ترى هل عندي هنا نطاق بطن يناسبك؟

نظرت العجوز حولها. فقد كان كل شيء في البيت يضع نطاقًا صوفيًا للبطن. الهاتف وفنجان القهوة والغلاية، وزجاجات الدواء وإبريق الشاي والقارورة الحافظة للحرارة، وحافظة أكياس الشاي والحذاء الطويل وأصيص الزرع والعصا.

- آه، وجدته، هذا مناسب.

نهضت العجوز، ونزعت نطاق البطن من القارورة الحافظة للحرارة.

- قارورة سحرية(1) وقط سحري. نطاق البطن هذا نطاق سحري، منقط في ظاهره، مخطط في باطنه. إنه المناسب لك.

تغضنت شفتا العجوز مبتسمتين، وهي تضع النطاق لجيجي. كان ذلك النطاق مزيجًا من درجات اللون المشمشي. فبدت النقط في ظاهره شبيهة بحقل مشمش مزهر، والخطوط في باطنه كرذاذ الربيع عند طلوع الشمس.

ارتفع صوت كيكي قائلة:

- أوه، يا للجمال!

وقالت لجيجي:

- يليق بفروتك السوداء تمامًا.

ولكنه لم يعجب جيجي كما يبدو. فقد رفع ذيله مستقيمًا وعبس متأففًا ثم بدأ يمشي.

- سأحيك لك واحدًا أيضًا. أعتذر لك أن يكون أجر التوصيل بهذه الضآلة، ولكنك

ستنقذيني إن قبلت هذين النطاقين أجرًا لك.

قالت العجوز معتذرة.

- أجل بالطبع. يكفي جدًا.

أومأت كيكي موافقة وهي تبتسم في لطف. فابتسمت العجوز راضية وقالت:

- لا داعي إلى القلق من البرد ما دمت تضعين نطاق البطن. ما من وسيلة أفضل منه وأرخص لحفظ الصحة. لقد أوصيت عمدة المدينة باستخدامه منذ مدة قصيرة. قلت له أتريد أن يظنك أهل المدينة مواطنًا صالحًا؟ عليك بتغطية التواء سُرتك(2) بنطاق البطن. أتصدقين أن المرض انتشر بين الحيوانات في حديقة الحيوان الشتاء الماضي بسبب البرد في بطونها؟ لقد نصحتهم بصنع نطاق بطن للحيوانات، ولكن مدير الحديقة مثله مثل ابني لا يستمع إليّ. سأصنع النطاقات بنفسي هذا العام وألبسها للحيوانات، ولن أهتم بما يقولون.

قالت العجوز وقد ظهرت حبات عرق على وجهها الصغير.

- فهمت. ما سأحمله هو نطاق فيل حديقة الحيوانات، أليس كذلك؟

أشارت كيكي إلى نطاق جميل مخطط باللونين الأزرق والأبيض، كأنه امتزاج السماء الزرقاء بالسحاب الأبيض، انتهت الجدة من صنعه وتعجبت كيكي لكبر حجمه.

- كلا، هذا من أجل ابني. إنه قبطان سفينة بخارية. قال لي إنه سينقل اليوم شيئًا مهمًا جدًا إلى شبه جزيرة موريمو التي تقع قرب خليج كوريكو، فخرج منذ الصباح الباكر. أما الشحنة المهمة فزجاجات شراب فاخر، وسيفسد مذاق الشرب إذا لم تُحمل بحرص وعناية دووون. هل حقًا يُحدث المذاق صوتًا عند فساده؟ لم أسمع مثل هذا الصوت من قبل.

قلبت العجوز شفتيها ثم أضافت:

- في شبه جزيرة موريمو جبلان، أليس كذلك؟ أظنهم لهذا السبب رأوا أن النقل بالباخرة أقل اهتزازًا من سيارات النقل. ولكنّ في البحر جبالًا تسمى الأمواج وهي أكثر من اثنين بكثير! أليس كذلك؟ تُرى هل ستسير الأمور على ما يرام؟

أخذت الجدة نفسًا وواصلت حديثها دون أن تسمع رد كيكي:

- وهذا سبب طلبي لك. باخرة ابني بيضاء اللون واسمها تيتي. وقد باتت باخرة عجوزًا مثلي، ولم تعد تطلق البخار بصوت قوي وحيوي، بون بون، كما كانت تفعل في الماضي. بل تطلق صوتًا ضعيفًا، بوكان بوكان، كأنها تتثاءب مع البخار. من أجل أن تؤدي تلك الباخرة

مهمتها الكبيرة، أطلب منك توصيل نطاق البطن هذا. وقد أبلغتُ ابني بذلك. إذا طرتِ بمحاذاة النهر الكبير في اتجاه البحر، فستعرفين الباخرة على الفور.

هزت الجدة كتفيها وتنهدت.

أخذت كيكي منها نطاق البطن على أي حال ولكنها أمالت رأسها.

(ترى كم يبلغ حجم ابنها؟ الأم صغيرة الحجم، والنطاق بهذا الحجم العملاق!)

وهنا تحدثت العجوز من جديد:

- إذا تذمر ابني، فأرجو منك أن تضعي أنت نطاق البطن بنفسك. إذا كان النطاق كبيرًا فشديه، وإذا كان صغيرًا فمطّيه. سيكون ملائمًا في الحالين.

لا تزال كيكي حائرة، ولكنها ابتسمت ببشاشة وقالت:

- على الرحب والسعة.

طارت كيكي واضعة نطاق البطن الكبير على كتفيها كأنه عباءة.

قالت كيكي وهي تلف نفسها بالنطاق:

- إنه دافئ جدًا. يا لها من فكرة رائعة!

همس جيجي خلفها:

- إن وضع صوف فوق هذه الفروة الكثيفة سيحولني إلى «خروف مقطط». ولكن لا يجوز للمرء أن يرفض طلبًا لعجوز.



ورغم ذلك القول، بدا القط راضيًا عن لون نطاقه الجميل.

فقالت له كيكي:

- إنه يليق بك جدًا.

فرد جيجي سخريتها عليه منذ قليل قائلًا:

- هذا هو ما قلت عنه «شيئًا مبهرًا» منذ قليل، هل يعجبك الآن؟

يقع الميناء عند التقاء النهر الكبير بالبحر. ورست سفينتان كبيرتان على رصيف الميناء، بالإضافة إلى سفينة يقطرها زورق على وشك أن ترسو هي أيضًا. وحول الميناء عدد لا نهائي من المراكب الصغيرة. وي تويت! سمعت كيكي صفارات تعلن عن شيء ما. وأمامها وعلى يسارها امتدت شبه جزيرة موريمو كأنها شفتا امرأة. عند النظر من السماء، بدا كل شيء هادئًا والحركة بطيئة جدًا، فنفد صبر كيكي. إذ كانت تدور في السماء لتبحث عن باخرة اسمها تيتي. فلما تأكدت من عدم وجودها داخل الميناء، تحركت في اتجاه عرض البحر. وفجأة هبت رياح قوية، وانخفض عدد السفن انخفاضًا حادًا، وتناثرت في جميع الاتجاهات هنا وهناك. وظهرت على مبعدة ما يبدو أنها باخرة عتيقة، تطفو على سطح البحر الأزرق كأنها بتلات وردة بيضاء صغيرة. وعندما اقتربت منها كيكي، سمعت صوتًا ضعيفًا كالتثاؤب، بوكان بوكان، مع البخار المتصاعد من مدخنتها. وقرأت كيكي اسم الباخرة تيتي على الجانب رغم تقشر الطلاء.

فنادت كيكي من السماء:

- أيتها الباخرة تيتي! أيها القبطان! لديَّ ما أريد توصيله لك.

فرفع عدد من البحارة الذين يحتضنون زجاجات الشراب على ظهر الباخرة رؤوسهم تجاه السماء.

- أنا ساحرة خدمات التوصيل السريع، هل تسمحون لي بالنزول على ظهر السفينة؟

فأخرج القبطان رأسه من غرفة القيادة ولوّح لها قائلًا:

- تفضلي، تفضلي!

ثم قال بصوت خافت فجأة:

- ولكن انزلي برفق كي لا تجفل حمولة الباخرة.

فردت كيكي بصوت خافت كذلك:

- هل الحمولة كائنات حية؟ أليست شرابًا؟

ونزلت برفق وهدوء على ظهر الباخرة. تجمع البحارة وراحوا يتأملون الفتاة التي ظهرت لهم فجأة من السماء وهم في دهشة عارمة. ولكن كانت كيكي أكثر منهم دهشة. فقد تخيلت أن القبطان فقط هو صاحب الكرش الكبير، لكنَّ للبحارة جميعهم كروشًا منتفخة. عجيب أن الباخرة لم تغرق بهم. قالت كيكي وهي تكتم رغبتها في الضحك:

- أيها القبطان، هذا من السيدة والدتك. نطاق البطن الدافئ.



- ماذا؟! يا لعناد أمي!

أعرب القبطان عن سخطه بصوت مرتفع ثم نظر إليها وهو يهمس:

- يا له من إزعاج!

تبادل البحارة النظرات كأنهم يقولون: لا شيء يوقف تلك العجوز.

- ولكن أليس كبيرًا جدًا على بطنك أيها القبطان؟ إنه هائل الحجم. لقد قالت لي أن أبلغك بأن تشده إن كان كبيرًا، ورغم ذلك...

بسطت كيكي نطاق البطن بلونيه السماوي والأبيض، وقد ازداد جمالًا في عرض البحر.

- كلا، في الواقع إنه ليس من أجلي. بل من أجل الباخرة. لأنها مؤخرًا تطلق حشرجة بوكان بوكان رغم أنها باخرة. وتقول أمي إن ذلك عائد إلى إصابة بطن المدخنة بالبرد، وإن أفضل حل هو نطاق البطن. لكني لا أقبل هذا الكلام الفارغ فهو يثير الغيظ.

- ماذا؟ هل نطاق البطن هذا من أجل المدخنة؟

نظرت كيكي عاليًا إلى المدخنة في وجوم.

- مفهوم، إذا كانت كذلك، فالحجم مناسب تمامًا.

تجهم وجه القبطان تجهمًا مفرطًا.

- لن يهدأ لأمي بال حتى تدفئ كل بطن في العالم. ماذا عليَّ أن أفعل؟ انظري! أنا أصغي لما تقوله حقًا وهذا ما يحدث لي.

فك القبطان أزرار سترته التي كادت أن تنفجر، وكان تحتها عدد من نطاقات البطن يلبسها طبقة فوق طبقة، والتفَّ بالألوان الزاهية.

- ونحن كذلك. لا نستطيع الحركة هكذا.

فتح البحارة ستراتهم، فظهرت تحتها دوامات النطاقات. وما حسبته كيكي كروشًا منتفخة، كان في حقيقته كروشًا من نطاقات البطن. فانقلبت كيكي على ظهرها من الضحك.

ثم تحدث أحد البحارة في توتر:

- أيها القبطان... هل هي... ألستِ ساحرة خدمات التوصيل السريع التي اشتهر أمرها في المدينة؟

فأومأت كيكي:

- بلى.

- إن كان الأمر كذلك، فلنطلب منها ذلك الطلب. تقول الشائعات إنها تحمل أي شيء وتوصله. لم لا تطلب منها حمل هذه الباخرة بما فيها ومن فيها في الهواء؟ ليس في الهواء أمواج مزعجة.

دُهشت كيكي وقالت:

- ما... ماذا تقول؟ الباخرة؟ مستحيل! لماذا؟ أبدًا.

فقال القبطان:

- بسبب حمولة الباخرة. فهي شراب فاخر ويجب حمله برفق شديد، ونحن ننقله إلى مكان قريب، فظننت أن نقله في الباخرة أمر هين، ولكنها فكرة سيئة. ترتطم الزجاجات بعضها ببعض، وبهذا تنخفض جودة المذاق. ولذا خرج كل البحارة يحاولون تثبيت الزجاجات، لكنها

مهمة صعبة.

لاحظت كيكي بعدما سمعته أن الزجاجات ترتطم بعضها ببعض، فتتشكل الفقاعات داخل الزجاجات.

- ما رأيك لو أبعدتها بعضها عن بعض؟

- إن فعلنا ذلك، ستتدحرج في كل مكان. أتظنين الطيران بالباخرة أمرًا شديد الصعوبة؟

وقعت كيكي في مأزق ودارت عيناها في أنحاء الباخرة. تقول لافتة محلها «مستعدون لتوصيل كل شيء»، ولا يجدر بها أن تخلف هذا الوعد الذي قطعته للزبائن. لكن الباخرة تظل باخرة، ولا يمكن الطيران بها في السماء، وإن كانت باخرة تتثاءب بوكان بوكان.

- المطلوب ألا ترتطم الزجاجات بعضها ببعض، صحيح؟

نظرت كيكي إلى القناني الكبيرة المنتفخة كانتفاخ بطون البحارة.

- أجل، هذا هو المطلوب. أمر بسيط ولكنه صعب فوق ظهر الباخرة.

- إن كان الأمر كذلك، فلديَّ فكرة جيدة. ربما نستطيع في هذه الورطة أن نحل المشكلتين.

فسألها القبطان والبحارة وهم يندفعون إلى الأمام:

- ماذا؟! ... ماذا تعنين؟

- ولكن هل يجب الانصياع لنصائح السيدة والدتك؟

تأملت كيكي وجه القبطان في انتظار رده.

- لنجعل أمي تغض طرفها قليلًا.

ضحك القبطان أخيرًا وهو يهز كتفيه.

- إذن...

صاحت كيكي بصوت عالٍ:

- ما رأيكم لو خلع الجميع نطاقات البطن وأحاطوا بها القناني؟ سينقص وزن الجميع ويسهل عليهم العمل، كما أن الزجاجات لن تصطدم بعضها ببعض، ولن يفسد مذاق الشراب.

- أوه، مفهوم.

ثم بدأ القبطان على الفور في خلع نطاقات بطنه. أنزلها سريعًا ثم نزعها من قدميه،

واختفى كرشه في لمح البصر. ولم يتردد باقي البحارة وبدؤوا في خلع النطاقات، وتكومت على ظهر الباخرة نطاقات البطن من مختلف الألوان، وبجوارها وقف بحارة في أجسام مثالية.

شرع الجميع في إلباس قناني الشراب تلك النطاقات قنينة بعد أخرى. وتلونت القناني بألوان متنوعة، فانتفخت كروشها واصطفت على ظهر الباخرة، واختفت أصوات الارتطام.

- يا سلام، يا سلام.

أومأ الجميع في اطمئنان وراحة بال.

قالت كيكي للقبطان:

- سأذهب بعدما أنجزت مهمتي.

ثم كادت أن تمتطي المقشة مع جيجي.

- أوه، لقد نسيت. نطاق البطن لتلك المدخنة! حسنًا، ما رأيكم لو أطعنا قول الجدة في شيء واحد وألبسناه للمدخنة؟

فقال القبطان بشيء من التردد لكنه مرتاح البال قليلًا:

- أجل، أنت محقة.

وافق الجميع، ثم تعاونوا في إلباس المدخنة نطاق البطن بلونيه السماوي والأبيض.

- حسنًا، سأذهب الآن.

لوحت كيكي بيدها مودعة وطارت في السماء، ووجهت مقبض المقشة تجاه مدينة كوريكو. سمعت من خلفها صوت الباخرة يلاحقها. كان صوتًا قويًا ونشيطًا؛ بون بون بعيدًا كل البعد عن صوت التثاؤب: بوكان بوكان. تُرى هل كان ذلك حقيقيًا، أم من نسج خيالها؟

وفي اليوم التالي قرأت كيكي جريدة الصباح ودهشت. فقد نشرت الجريدة خبرًا يقول إن جميع بحارة الباخرة تيتي قد أصيبوا بنزلة برد جماعية في البطن. ثم تحت هذا الخبر كُتب ما يلي:



«بدأ أحد محلات المشروب في شبه جزيرة موريمو ببيع قناني نبيذ فاخر ذات حزام صوفي جميل. مذاق جيد ومنظر جميل. يستحق التجربة، ولكن السعر مرتفع قليلًا».

مر أسبوع ولم يخلع جيجي نطاق البطن الذي أعطته له العجوز. بل ظل يحافظ على تنظيفه ومسحه بضربات من ذيله. والسبب أن جيجي سمع وهو يسير في طرقات المدينة من يقول:

«إن قط الساحرة مختلف عن القطط العادية. إنه يحافظ على دفء سحره بلا شك».

ثم مر أسبوع آخر، وتلقت كيكي رسالة من العجوز تقول إنها انتهت من صنع نطاق البطن لها. وعندما ذهبت كيكي لتأخذه، أعطتها النطاق بألوانه الزاهية المتعددة كأنه علبة حلوى وقالت لها:

- ملابسك سوداء دائمًا، فتمتعي بنطاق كثير الألوان.

وهنا طلبت منها كيكي طلبًا آخر.

- أرجو منك يا سيدتي تعليمي شغل الإبرة. أريد اكتساب مهارات كثيرة.

- حاضر. طلب سهل وبسيط. ماذا تريدين أن تصنعي؟

نظرت الجدة إلى كيكي بعيون محبة.

- أريد أن أصنع لأبي ولأمي...

- نطاق بطن بالتأكيد. اختيار عظيم.

---

(1)الترجمة الحرفية لكلمة القارورة الحافظة للحرارة Thermos باللغة اليابانية هي القنينة السحرية. (المترجم)

(2)تشير كلمة التواء السرة في اللغة اليابانية إلى الخبث وعدم الاستقامة. (المترجم)

الفصل التاسع

كيكي تحمل رأس السنة

هذه مدينة كوريكو قبل نهاية العام بأربع ساعات. إنها آخر ليلة من ليالي هذه السنة. ويبدو أن كل البيوت قد أنهت استعداداتها لاستقبال العام الجديد. فقد لَمَّع زجاج النوافذ، وتسللت إضاءات المصابيح البرتقالية الساطعة إلى الطرقات.

شعرت كيكي بالحزن. فقد كانت آخر ليلة من ليالي العام تعني دائمًا أن تجتمع الأسرة؛ الأب والأم وكيكي والقط الأسود جيجي، الليلة التي تستمتع فيها بمذاق السعادة لوجودها بينهم. ولكن يجب عليها اليوم قضاؤها مع جيجي فقط، لأن الساحرة التي تخرج في رحلة النضج لا يسمح لها بزيارة مسقط رأسها إلا بعد مرور عام كامل.

(لم يبقَ إلا أربعة أشهر وأيام قليلة، ولا بد من قضاء وقت ممتع خلال هذه المدة. فالصبر، الصبر).

استعادت كيكي حيويتها، وبدأت في إعداد كرات اللحم. كانت كرات لحم كبيرة بحجم التفاح، تطبخها كيكي مع صلصة الطماطم التي أعدتها في وقت سابق من الصيف وحفظتها، وهي تتذكر الخطوات التي كانت أمها تتبعها. جرت العادة في مسقط رأسها على أكل كرات لحم كبيرة مطبوخة في صلصة طماطم، ثم يبدأ الحديث حول ذكريات العام المنصرم. وعندما تدق الساعة الثانية عشرة، يعانق كل منهم جاره ويتبادلون التحايا قائلين: «كانت سنة سعيدة لنا جميعًا».

- اسمع يا جيجي!

قالت كيكي ذلك، وهي تضيف الملح والفلفل الأسود إلى وعاء اللحم.

- لا أحد هنا هذا العام سوانا أنا وأنت. فلنأكل كرات اللحم، ولنتبادل تحايا العام الجديد إذا دقت الساعة الثانية عشرة.

- أجل. لا مانع. لا بأس أن ينتهي العام هكذا. لم يكن هذا العام عامًا سيئًا إن نظرنا إليه من وجهة نظرك.

بسط جيجي قدميه الأماميتين ومدهما.

(يراودني شعور غريب، رغم أنها ليلة رأس السنة).

أمالت كيكي رأسها وهي تتذوق طعم الصلصة. فالطرقات هنا وهناك تمتلئ بالضوضاء

أكثر من أي ليلة أخرى، ويبدو أن الناس يتجمعون فيها.

(يُفترض أن تكون الضوضاء الآن داخل البيوت وحول الموائد، وليس في الطرقات).

في اللحظة نفسها:

- المعذرة.

طرقت أوسونو الباب ثم دخلت وهي تحمل طفلتها الرضيعة. كبرت الطفلة كثيرًا وباتت تركل برجليها. عندما رأت أوسونو وجه كيكي قالت لها كأنها تغني:

- لنصغِ السمع!

ظلت كيكي فاغرة فاها لحظة تتأمل أوسونو لأنها لم تفهم قصدها. ثم قالت حائرة:

- أوه، لماذا؟

وهذه المرة نظرت أوسونو إلى كيكي فاغرة فاها.

- آه، صحيح، لقد تذكرت.

هزت أوسونو رأسها حين أدركت خطأها.

- أنتِ لا تعرفين احتفال هذه المدينة في ليلة رأس السنة، آسفة، أعتذر لك. لم أخبرك بها من قبل. انظري إلى هذه الساعة قليلًا.

ثم أشارت أوسونو من خلال النافذة إلى برج الساعة الذي يظهر بعيدًا وسط الغيوم.

- لا ندري من بنى برج الساعة العالي في مقر بلدية المدينة. عادة تخفيه النجوم فلا نراه إذا أردنا معرفة الوقت. وإن لم تخفه الغيوم، فهو عالٍ علوًّا كبيرًا يؤلم عنق المرء إذا أراد النظر إليه، لهذا لا أحد ينظر إليه كثيرًا. ورغم ذلك فإن للساعة وظيفة مهمة مرة واحدة فقط في العام، وذلك في ليلة رأس السنة. فهي تدق أجراسها في هذه الليلة في الساعة الثانية عشرة تمامًا. تدق اثنتي عشرة مرة دُن دُندُن. وعندها يركض كل سكان المدينة من أمام مقر البلدية ويدورون حول المدينة، أي إنهم يجرون في اتجاه العام الجديد. وهذا حدثٌ مهم للمدينة لم ينقطع منذ بناء هذه الساعة وحتى اليوم. وهنا كي لا نفوّت فرصة سماع صوت دقات الساعة، باتت كلمة «لنصغِ السمع» هي التحية المعتادة لليلة رأس السنة.



- إذن هذا سبب ازدحام الشوارع؟ قالت كيكي بعد أن فهمت الأمر.

- أجل. بالطبع. خرج المتعجلون قبل الموعد بوقت طويل، وهم يتبادلون الأحاديث والتحيات.

- أوه، فهمت أخيرًا. هل أستطيع الجري أنا أيضًا؟

أخذت كيكي وضعية السباق بدفع جسمها إلى الأمام.

- بالتأكيد. ولكن لا يسمح بالطيران بالمقشة في الهواء.

- أجل. لن أغش بهذه الطريقة.

- أنوي أن أجري مع زوجي وأنا أضع طفلتي على ظهري. لنجرِ معًا.

عادت الخبّازة أوسونو، فأسرعت كيكي برفع طرف تنورتها وأخذت تمطط قدميها

استعدادًا للجري. وبدأ جيجي كذلك تدريبات الإحماء بهز أرجله واحدة بعد الأخرى، والجدية مرتسمة على وجهه.

مرت ساعتان وبعض الدقائق. أخيرًا أنهى عمدة مدينة كوريكو العمل الذي يجب إنهاؤه خلال هذا العام، ثم تمطى أمام مكتبه طويلًا. لقد سارت كل الأعمال على ما يرام منذ أن انتُخِب عمدة للمدينة في بداية هذا العام. وازدادت شعبيته بين سكان المدينة الذي يقولون إنه يعمل من أجلهم بجد واجتهاد رغم شبابه. وفي هذه الليلة الخاتمة للعام، كان عمدة المدينة في أقصى حالات الحيوية والنشاط. فعزم على أن يقود سباق الماراثون مهما حدث، ويُظهر لسكان المدينة أكثر وأكثر أنه عمدة يُعتمد عليه.

أجرى العمدة تدريبات الإحماء في مكتبه رافعًا يديه فوق رأسه وهو يعد: واحد اثنين واحد اثنين، وباسطًا إحدى قدميه إلى الأمام وهو يعد: ثلاثة أربعة ثلاثة أربعة. ثم فتح النافذة وألقى نظرة على المدينة وصرخ بأعلى صوته:

- لنصغِ السمع!

وفي تلك اللحظة، فزع لما كادت يداه تنزلقان من النافذة. إذ يقع مكتب عمدة المدينة في أعلى طابق بمبنى البلدية، وإن فتح النافذة يستطيع سماع صوت عقارب الساعة التي ترتفع عاليًا فوق الرؤوس، وإن أخفتها الغيوم أو هطلت الأمطار. لكنه الآن لا يسمع الصوت الدقيق لتلك العقارب، بل صوتًا مخزيًا كأنها تتثاءب. اضطرب العمدة ومال على النافذة لينظر إلى الساعة. دقت الساعة ثلاث دقات خافتة: تك تكتك، ثم توقفت العقارب عن الحركة تمامًا، كأنها ارتاحت بمعرفة العمدة لذلك. كانت الساعة العاشرة وستة وثلاثون دقيقة.

قفز عمدة المدينة تجاه الهاتف، واستدعى الساعاتي الذي عمل في صيانة هذه الساعة أجيالًا وأجيالًا.

- لقد توقفت ساعة البرج. أسرع بالمجيء على الفور. واجعل الأمر سرًّا عن سكان المدينة.

وضع العمدة سماعة الهاتف ثم أسرع بنفسه لصعود برج الساعة. لم تتعطل هذه الساعة أو تتوقف قط منذ إنشائها، فظل ماراثون ليلة رأس السنة يقام في موعده كل عام بانتظام، وكان ذلك مصدر فخر لكل سكان المدينة. ورغم ذلك تختار الساعة من بين كل السنين، السنة التي يُنصَّب فيها هو عمدة للمدينة لكي تتعطل... ربما يُكتب ذلك في تاريخ المدينة. يا له من عار لا ينمحي لا يمكن لعمدة المدينة الشاب المتحمس أن يتحمّله.

ثم جاء الساعاتي في وقت قصير حاملًا صندوق أدواته الكبير، وصعد درجات برج الساعة التي تبلغ ٢٣٥٨ درجة. عملت عائلة هذا الساعاتي على صيانة الساعة بكل اجتهاد منذ جده

الخامس على الأقل وحتى اليوم، وبفضل ذلك لم تتعطل الساعة أو تتوقف قط. تُرى هل أخطأ في شيء عندما قام قبل أسبوع بعمل آخر صيانة دورية لها قبل ليلة رأس السنة؟ بدأ قلب الساعاتي يدق دقات عالية كدقات الساعة حينما كانت في أحسن حالاتها.

وبدأ الساعاتي شاحب الوجه في إصلاحاته، فأخذ يدق بمطرقة صغيرة على هذا المسمار وذاك الترس. ثم على تنهد في اطمئنان.

- لقد فهمت. لقد انكسر أكبر تروسها. وهذا أمر بسيط، بسيط جدًا. يكفي أن نستبدله. سينتهي الأمر في دقيقتين.

فقال عمدة المدينة وهو ما زال في حالة قلق ويدرب قدميه: واحد اثنين واحد اثنين:

- أحقًا ما تقول؟ وهل سيُعدّل الوقت أيضًا؟

- أجل. إذا استبدلنا الترس التالف، سأعدّل الوقت في لمح البصر.

- وستدق كما ينبغي في الساعة الثانية عشرة؟

- بالتأكيد ستدق.

كانت الثقة تنضح من الساعاتي، وقد تبددت كل مخاوفه. بل دندن مغنيًا لحنًا بسيطًا وهو يلقي نظرة على صندوق الأدوات. عندها ارتسم القلق على وجهه مرة أخرى وشحب وبدأت يداه ترتعشان.

- ولكن... ولكن... ليس عندي ترس بديل!

امتقع وجه العمدة وصرخ بصوت مرتعش:

- ما... ماذا تقول؟ اذهب إذن وأحضر ترسًا.

- ولكني لا أملك واحدًا في محلي. يجب طلبه من المصنع.

- إذن أسرع... أسرع في طلبه.

- يستغرق طلبه ثلاثة وخمسين يومًا.

تراجع العمدة مترنحًا إلى الخلف. ثم صرخ صرخة حادة وفتح فمه أخيرًا ليقول:

- ألا يوجد ترس في مكان آخر؟

- يوجد فهو... ولكنه... مكان صعب...

- قل أين بسرعة.

- في البلدة التي تقع على بعد ثلاثة جبال غربًا من هنا ساعة تشبه هذه الساعة. فلو استعرنا الترس لبعض الوقت...

- ماذا تعني باستعرنا؟

- أجل، أعني نأخذه سرًا.

- هل تعني أن نسرقه؟

- أجل... ولكن...



- ولكن ماذا؟

- لا يوجد من يسرقه.

- ماذا تقول؟ يجب أن تسرقه أنت.

- ماذا! أ... أجل. ولكن... الوقت... وجدتها! لو ركبت سيارة الشرطة ذات الصافرات، ربما استطعت...

- أيها الأحمق! هل يركب سارقٌ سياراتِ الشرطة؟ ألا توجد وسيلة أخرى؟

- آه... أ... أجل. توجد. توجد. إنها تلك التي ذاع أمرها في المدينة...

رن رن رن... رن رنرن

بدأ هاتف محل كيكي يدق. بعد تناول وجبة كرات اللحم اللذيذة المذاق، وأمسكت كيكي التي كانت تدرب قدميها من أجل سباق الماراثون، بسماعة الهاتف وقالت كأنها تغني:

- لنصغِ السمع!

فصرخ من الطرف الآخر صوت كأنه ينقض عليها قائلًا:

- لست أبالي بالإصغاء أو السمع الآن! أنا عمدة هذه المدينة، وسمعت أنك توصلين الأشياء. فهل تحضرينها كذلك؟

فأجابت كيكي بنبرة غير ودية:

- لا داعي إلى الغضب. مهنتي هي توصيل الأشياء، فإن كنت أوصل الأشياء من هنا إلى هناك، فلا بد أني أوصلها من هناك إلى هنا.

قال عمدة المدينة في نبرة أكثر تأدبًا:

- أوه، هذا ينقذنا من الورطة. حسنًا هل يمكنك المجيء بأقصى سرعة ممكنة إلى أعلى برج الساعة؟

اصطحبت كيكي جيجي وطارت وهي تتذمر. كانت هذه ليلة لا تريد فيها الطيران، بل أرادت الجري على الأرض. وعندما نظرت تحتها، وجدت الكثيرين تجمعوا أمام مقر البلدية في انتظار الساعة الثانية عشرة.

وصلت كيكي إلى برج الساعة، وقال لها عمدة المدينة لكي يحثها على الإسراع:

- لندخل في الموضوع بسرعة. في الواقع، لقد انكسر أكبر تروس هذه الساعة. ونرجو منك أن تعبري ثلاثة جبال تجاه الغرب إلى البلدة الواقعة على الجانب الآخر منها وتختلسي لنا منها ترسًا، في رحلة سريعة وعاجلة، أرجوك، أرجوك، أرجوك.

اتسعت عينا كيكي وقالت:

- ما معنى أختلس؟

هز عمدة المدينة كتفيه وهمس بصوت خافت:

- أي تستعيرينه في صمت لفترة قصيرة، حتى تنتهي دقات أجراس الساعة الثانية عشرة فقط... هذا هو المعنى.

- هل تعني أن أسرقه؟

- هششش. هذه الكلمة عيب. لا يحسن بالفتيات قولها. بل نحن نستعيره فقط، لأننا سنعيده كما كان.

- إن كان الأمر كذلك، ألا يكفي أن تدق الأجراس فقط؟ فلا أحد يرى الساعة لارتفاعها المهول هذا.

وهنا تحدث الساعاتي متحسرًا:

- لا تدق أجراس الساعة إلا إذا تحرك العقربان والتقيا معًا عند الثانية عشرة. وهذا هو سبب مأزقنا.

- وماذا لو صرخ عمدة المدينة: استعدوا، انطلقوا! إذا بلغت الساعة الثانية عشرة.

- لا يمكن.

هز عمدة المدينة رأسه بحزم.

- لا يمكن تغيير العادات التي استمرت زمنًا طويلًا بهذه البساطة. إذا فعلنا ذلك، فما أدرانا ماذا سيحدث؟ قد يلوي الناس كواحلهم، أو يصابون بطفح جلدي. أتوسل إليك أن تذهبي من أجلنا، فليس لدينا وقت.

قال عمدة المدينة ذلك ووجهه يحمر أحيانًا ويشحب أحيانًا أخرى. ثم انعقد حاجباه على هيئة رقم ثمانية، وحملق إلى كيكي كأنه يوشك على البكاء.

(يا له من رجل!)

زمّت كيكي شفتيها غاضبة وطارت دون أن ترد عليه.

طارت حتى عبرت ثلاثة جبال تصطف تجاه الغرب بانتظام. فظهرت لها بين الوديان أضواء بلدة كأنها قلادة تزين العنق.

تشبث جيجي بقوة بظهر كيكي وقال:

- كيكي، هل هذه فكرة جيدة؟ ألن يُقبض علينا؟

فقالت كيكي كأنها توجه الكلام إلى نفسها لإقناعها:

- لن نعرف حتى نجرب. وربما إن شرحنا لهم المشكلة، يوافقون على إعارة الترس لنا لتلك المدة القصيرة فقط.

كانت تلك البلدة صغيرة جدًا، وعرفت كيكي على الفور مكان برج الساعة. هبطت كيكي أعلى برج الساعة وهي منحنية كي لا ينتبه إليها أحد. ثم نظرت تحتها فأصابتها الدهشة. فقد تجمع سكان هذه المدينة تحت برج الساعة تمامًا مثلما فعل سكان مدينة كوريكو. بل كانوا

ينظرون جميعًا إلى الساعة كأنهم أيضًا ينتظرون مجيء الساعة الثانية عشرة. هبطت كيكي من السطح إلى الأرض متخفية. كان أهل المدينة يتجاذبون الحديث في حماس، ولكنهم أثناء ذلك كانوا يحركون إصبع الخنصر اليمنى في أياديهم، فيشدونها بقوة ثم يرخونها ببطء.

(هل يمرن سكان البلدة أصابعهم عوضًا عن أرجلهم؟)

وهنا قال عجوز بجوارها موجهًا الكلام إليها كأنه يغني:

- لا تنسي الساعة الثانية عشرة!

دُهشت كيكي بشدة. فقد بدت كلمته شبيهة بتحية مدينة كوريكو: لنصغِ السمع!

فسألته كيكي:

- لماذا يتجمع الناس؟

- عجبًا! ألا تعلمين؟ عند الساعة الثانية عشرة تمامًا، يعقد المرء منا إصبعه الخنصر مع جاره، ويتبادلان التحية فيقولان: «لنواصل علاقتنا الطيبة معًا في العام الجديد أيضًا»، إنها عادة هذه المدينة منذ قديم الزمان.

ثم مد العجوز إصبعه الخنصر أمام كيكي وهو يضحك.

- انظري! لقد حان الوقت. هل أنت مستعدة؟ أوه، لماذا تحملين مقشة؟ ألم تنهي بعد التنظيف الكبير قبل نهاية العام؟ هيا هيا أسرعي!

قال العجوز ذلك وهو يدفع كيكي ليحثها على الإسراع. فتخطت كيكي الجموع وهي تكاد أن تنكفئ وتقول لجيجي:

- هيا نرجع.

- ماذا عن الترس؟

نظر جيجي عاليًا تجاه كيكي نظرات قلق.

فأجابت كيكي في غلظة:

- لا شأن لك. سنرجع كما جئنا.

- ولكن... ولكن سنستعيره لوقت قصير فقط، أليس كذلك؟ ألن تفعلي؟

يستطيع سكانها التعهد بالعلاقة الطيبة بأصابعهم. وربما تغرق هذه المدينة في المشاحنات والصراعات العام القادم بسببي.

- ولكن هذه ورطة، ماذا ستفعل مدينة كوريكو؟

- سأفكر في الأمر قليلًا.

في سرعة كبيرة طارت كيكي في سماء الليل خلف ظلال المباني.

وعندما عادت إلى برج ساعة مدينة كوريكو، قفز كل من عمدة المدينة والساعاتي إليها في تلهف.

- ماذا حدث؟

- هيا أعطيني الترس.

هزت كيكي يديها الخاويتين لتُريهما أنها لا تحمل شيئًا.

- كما تريان. ولكن لا داعي إلى القلق. سأنجز المهمة. أرجو منكما النزول والانتظار مع سكان المدينة.

- ولكن...

حملق الاثنان إلى كيكي بقلق ولم يتحركا.

- لا تقلقا، فأنا ساحرة. سأقوم بما يلزم.

قالت كيكي ذلك بحزم ودفعت الاثنين تجاه درجات السلم. ثم بسطت ذراعيها وأخذت نفسًا عميقًا.

- هيا يا جيجي ساعدني. أمسكني بقوة وادفعني من الخلف بكل ما لديك من عزم وقوة.

ثم امتطت المقشة عاقدة العزم وطارت بسرعة مهولة.

وصلت كيكي أقصى المدينة في دفعة واحدة، ثم دارت إلى اليمين بسرعة شديدة، وزادت سرعتها أكثر وأكثر وانطلقت في اتجاه الساعة. اقتربت من الساعة حتى كادت أن تصطدم بها، وأمسكت العقرب الكبير بيديها ودفعته بكل قوتها وأخذت تدور حول ميناء الساعة. وفي لمح البصر دارت دورة كاملة وأربع وعشرين دقيقة. فالتقى العقربان عند الساعة الثانية عشرة بالتمام والكمال.

- دُن... دُن... دُن

دقت الأجراس عاليًا وترددت أصداؤها في أنحاء مدينة كوريكو كافة، وأمام مقر بلدية المدينة هتف الجميع: واو. وملأ وقع الأقدام الراكضة الطرقات.

أفلتت كيكي عقارب الساعة، فألقت بها قوة الطرد المركزي وطيّرتها إلى أطراف المدينة. ثم أخذت تحث المقشة لتتوقف عن الطيران، وعادت إلى برج الساعة، وجلست في منتهى الإرهاق. كان شعرها مشعثًا، وشعرت أن دماغها تجمع في ركن واحد من رأسها. هزت رأسها ونظرت تحتها، فرأت الجميع يجرون في سرور ونشاط. دار أهل المدينة ولفوا كأن الطرقات تتحرك. وظهر عمدة المدينة في المقدمة وقد سبق الجميع.

قال جيجي وقد افترش الأرض كأنه خاتم على شكل زهرة مسحوقة:

- كان أمرًا رهيبًا. لقد ظننت أن ذيلي سينفصل عن جسدي.

- وأنا خُيّل إليّ أن عينيّ وفمي ستطير من وجهي، وسأصبح وحشًا مشوه المنظر!

تنفست كيكي الصعداء ثم نظرت إلى ساعة يدها. يا للهول! كانت تشير إلى الثانية عشرة إلا خمس دقائق.



- فواهاهاها.

انفجرت كيكي ضاحكة رغمًا عنها، قوّست جسمها وواصلت الضحك.

- لقد سارت الأمور على ما يرام أكثر مما يجب. ولكن لا بأس ما دمت لم أتأخر.

ثم أخرجت لسانها في مرح.

- يا لمكرك!

نظر جيجي حوله مذهولًا، ثم صرخ فجأة:

- آه... أين ذهب؟! اختفى نطاق بطني!

- أوه! حقًا؟ لقد طار بالتأكيد. ولكن إن كان هذا أسوأ ما في الليلة فلا بأس، صح؟

- كلا، مطلقًا. لقد كنت أعتني به بشدة. وبدونه سأعود قطًا عاديًا أسود فقط. وبدلًا من الأخذ والعطاء، لا أنال من العمل الجاد في هذه المدينة إلا الخسارة.

وهنا قالت كيكي لتهدئ من روعه:

- لقد أتينا برأس السنة. كم خدمة توصيل سريع فعلت هذا؟ لا يستطيع أحد أن يفعل شيئًا بهذه الروعة سوانا أنا وأنت. هل تحسب أن أي قط عادي أسود يستطيع ذلك؟ هيا ابتهج، ودعنا نجري معهم. سنغش قليلًا، فدعنا نلحق بهم على المقشة ثم نجري مع أسرة أوسونو. ويجب أن نبحث كذلك عن تومبو وميمي. هيا أسرع!

بعد أن بدأ العام الجديد، كلما خرجت كيكي إلى المدينة، حيّاها الغرباء وقالوا: «نقدر لك تعبك». فظنت كيكي أن الناس يطيب مزاجهم مع بداية العام الجديد.

ولكن أوسونو أخبرتها بالسبب ذات يوم قائلة:

- يسير الساعاتي المسؤول عن برج الساعة في المدينة محدثًا الناس بأن كيكي هي التي أصلحت ترس الساعة المكسور، وجعلتها تدق في موعدها في الثانية عشرة. ويقول إن وجود ساحرة قادرة على استخدام السحر هكذا ينقذ هذه المدينة في كثير من الأحيان. لقد شعرتُ بالفخر، لأنني عرفت ذلك قبلهم جميعًا.

الفصل العاشر

كيكي تحمل صوت الربيع

استمر الطقس البارد كل يوم.

التف القط الأسود جيجي فوق الكرسي وبدأ الشكوى:

- يا له من شتاء طويل! إذا اشتد البرد أكثر من ذلك، فلسوف أتوقف عن كوني قطًا. لا أستطيع الاحتمال.

- وماذا ستكون إذن؟ أنت تملك هذه الفروة الرائعة.

ربَّتت كيكي على ظهر جيجي.

- ما تنفك تردد بأن الجو بارد، ولكن هبوب الرياح تغير فعلًا. الربيع يقترب، وأنا واثقة بهذا. أجل، الربيع الذي سنلتقي فيه بأمي قريبًا. لكن المتذمرين أمثالك لا يستطيعون أن يسمعوا أصواتًا كهذه.

نفخ جيجي أوداجه غاضبًا وأخفى وجهه بين كفيه الأماميتين. ولكن أذنيه السوداوين الجميلتين منتصبتان وتنتفضان قليلًا.

رن... رن... رن

دق جرس الهاتف. رفعت كيكي السماعة فجاءها صوت مضطرب:

- ألو... رجاء. أسرعي! أسرعي! تعالي إلى محطة القطار. محطة القطار المركزية لمدينة كوريكو.

وانقطع الخط سريعًا.

- لماذا كل عمل يأتيني يكون عاجلًا؟

خرجت كيكي بسرعة.

وصلت إلى سماء المحطة المركزية، فوجدت ناظر المحطة يلوّح لها بيده ويقول:

- هنا، هنا، بسرعة، بسرعة!

وبجواره وقف ثمانية رجال نحيفون يشبهون أغصان الأشجار الذابلة ويلبسون ثيابًا سوداء متماثلة. هبطت كيكي بمقشتها أمام هؤلاء الرجال فلم يُدهش منهم أحد، بل ظلوا

ينظرون شزرًا تجاه ناظر المحطة بقسمات مخيفة.

بدأ ناظر المحطة يقول:

- هؤلاء السادة العازفون...

فقال أحدهم وهو يطلق من عينيه شررًا:

- لسنا عازفين، بل موسيقيين محترفين.

- أجل، صحيح. يُفترض أن يقدم هؤلاء الموسيقيون المحترفون الموقرون عرضًا موسيقيًا في الهواء الطلق عصر اليوم في قاعة الحفلات الخارجية.

فقالت كيكي دَهِشة:

- في مثل هذا الجو البارد؟ في الهواء الطلق يعني في الخارج، أليس كذلك؟

تنحنح أحد الرجال ثم نفخ صدره وقال:

- نقدم الحفل بسبب الجو البارد. لأن موسيقانا تبعث الدفء في القلوب. حتى أن عنوان الحفل الموسيقي هذا «حفل استدعاء الربيع». والمهم هل يتمتع سكان هذه المدينة بآذان موسيقية أم لا. إننا قلقون لأننا ضيّعنا شيئًا بالغ الأهمية.

- أ... أجل، هذا صحيح. لقد نسي حمّالا الأمتعة إنزال الآلات الموسيقية من القطار. ونحن في مأزق كبير.



ثم خلع ناظر المحطة قبعته ومسح بها العرق المتصبب على جبينه. وعند النظر وجدت كيكي حمّالي الأمتعة يقفان على مسافة قريبة مطأطئين رأسيهما في خجل.

- حقًا؟

قفزت كيكي قليلًا لتنظر إلى الاتجاه الذي اختفى فيه القطار.

- هذا ما حدث. لقد ذهب القطار حاملًا داخله الآلات الموسيقية.

- اتصل إذن سريعًا بالمحطة التالية، وسوف أذهب لإحضارها.

فقال ناظر المحطة باستياء أكبر:

- في الواقع، هذا قطار سريع، بعد تحركه من هذه المحطة لن يتوقف إلا في نهاية الخط.

- ماذا يجب عليَّ أن أفعل إذن؟

- ألا يمكنك إخراج الآلات من نافذة القطار وهو يتحرك وإحضارها لنا؟ صعب، أليس كذلك؟ إنها في آخر عربة من عربات القطار.

فصرخت كيكي بصوت عالٍ رغمًا عنها:

- هذا محال. لا أستطيع ذلك طبعًا.

- ولكن هناك من فعل ذلك. مرة دخل أحدهم من النافذة وسرق سبائك الذهب.

- أوه، ماذا تقول؟ بدلًا من ذلك لمَ لا تستعيرون آلات غيرها؟ لا شك أن في هذه المدينة بعض الآلات الموسيقية.

فقال ناظر المحطة وهو يراقب وجوه الرجال:

- لقد فكرت في ذلك بالفعل ولكن...

فزعق فيه أحدهم:

- لا يمكن، مستحيل تمامًا! فلسنا موسيقيين محترفين عاديين، ولا نعزف على أي آلات موسيقية. هل يمكن العزف على آلات رديئة تصدر صوتًا إن هبت عليها الرياح؟

ثم وافقه السبعة الآخرون والشرر يتطاير من أعينهم الضيقة.

(يا لأعينهم التي تشبه رياح الشمال الباردة، ويقولون حفل استدعاء الربيع! إنهم لا يعجبونني). هكذا تذمرت في سرها.

وافقها جيجي في غضبها وهمس في أذنها:

- لا تظلمي رياح الشمال.

ثم واصل الرجل كلامه:

- الخطأ خطؤكم لأنكم لم تنزلوا الآلات. كتبنا عليها «إلى محطة كوريكو». وليس علينا أي ذنب. وأنت يا ناظر المحطة من يتحمل كل المسؤولية.

انزعج ناظر المحطة ونظر إلى كيكي مستنجدًا بها. ونظر إليها حمّالا الأمتعة كذلك في استماتة.

- لا أعرف هل سأستطيع أم لا، ولكنني سألحق بالقطار على أي حال.

فقال لها الرجل كأنه يأمرها:

- أسرعي! فليس لدينا وقت. سننتظر في قاعة الحفلات الخارجية. أحضريها قبل الساعة الثالثة. هل تفهمين؟

تعمدت كيكي عدم الرد عليه وطارت في السماء.

واصلت كيكي الطيران بمحاذاة شريط السكك الحديدية. وظلت تحلق في الجزء الشمالي من المدينة لبعض الوقت، وبعد تخطي الحقول والغابات، تجاوزت جبلًا بعده جبل، ثم نفقًا بعده نفق.

فسألها جيجي من خلفها في قلق:

- هل أنت قادرة حقًا على هذا الفعل البهلواني الخطير؟

- لا تقلق. إنهم متغطرسون، لذلك تعمدت أن أشاكسهم.

- المطلوب دخول قطار سريع يسير بأقصى سرعته.

- لا مشكلة، فمعي جيجي.

فصرخ جيجي:

- ماذا تقولين؟

صرخت كيكي وهي ترفع نفسها عن المقشة قليلًا:

- آه، ها هو، ها هو.

كانت آخر عربات القطار تدخل نفقًا وكأنها ذيل عظاءة.

صاحت كيكي: «هيلا هوب»، ثم ارتفعت عاليًا لتتفادى الجبل، ولفَّت أعلاه إلى مخرج النفق.

- قال إنها آخر عربة. لذا سأهبط على سطح القطار. كن مستعدًا يا جيجي لكي تدخل من النافذة المفتوحة وتفتح لي الباب الخلفي للقطار.

أخيرًا صاحت صافرة القطار: تووووت، تووووت، وظهر خارجًا من النفق. وجهت كيكي يد المقشة إلى الأسفل، وبدأت استعدادات الهبوط. فقال جيجي بصوت يشبه البكاء:

- تهبطين على هذه المساحة الضيقة؟

لم تحتج كيكي إلى أن يخبرها جيجي بخطورة الأمر، فعندما كانت توشك على الهبوط، بدا لها سطح القطار في حجم ورقة شجر متطايرة في الهواء.

(آه. أنا ساحرة، وليس عندي تعويذة توقف القطار!)

- ولكن لا مفر من المحاولة.

طردت كيكي من قلبها مشاعر الخوف، وبدأت الهبوط. مرت الرياح مدوية بجوار أذنيها، وانتصب شعرها وذيل جيجي، كأن السماء تشدهما.

فزعق جيجي:

- آه، سنصطدم.

فزحزحت كيكي جسمها مع المقشة والتصقت بالسطح. وظل القطار يسير كأن شيئًا لم يحدث. تشبثت كيكي بسطح القطار المهتز، وزحزحت جسمها ونظرت من النافذة التي فُتحت فتحة ضيقة.

وجدتها. كومة من الأمتعة تتدلى منها بطاقة كُتب عليها: «إلى محطة كوريكو».

- هيا يا جيجي، ادخل من هنا.

- مستحيل، صعب، سأقع.

تراجع جيجي وتشبث بمقبض المقشة.

- لا تقل هذا. يجب أن تذهب.

أمسكت كيكي بعنق جيجي ودفعت به داخل النافذة. ضربت كيكي أغصانُ الشجر من الجبل المتاخم لسكة القطار. ففردت جسمها على سطح القطار لتفاديها، ولكنها رأت مجموعة أخرى من الأغصان في الطريق إليها.



أنزلت كيكي نصف جسمها من السطح وطرقت الباب الخلفي بقوة.

- أسرع يا جيجي وافتح الباب أرجوك.

عندئذ دخل القطار في نفق جديد. كان الظلام حالكًا، ظلامًا تامًا، وعصفت رياح قوية محدثة أصواتًا مخيفة. كادت كيكي أن تنزلق وتسقط تحت عجلات القطار. فحملت المقشة بسرعة وأمسكت بشيءٍ ما وهي تتحسس بيديها في الظلام، وهنا سقطت من فوق السطح.

- جيجي، جيجي.

ظلت كيكي تركل بقدمها مؤخرة القطار، فانفتح الباب الخلفي، وارتمت داخله. خرج القطار من النفق، ودخلت أشعة الضوء من النافذة. كان جيجي مرميًا على أرضية العربة كأنه شُلَّ من الخوف، وحملق إلى كيكي مذهولًا.

في العربة جبال من الأمتعة. ولكنها عرفت الآلات الثماني فلكل منها شكل غريب، ففرقتها عن بقية الأمتعة. ولكنها كانت حمولة كبيرة.

- كيف لنا أن نحمل كل هذا؟

جلست كيكي مثلما فعل جيجي، وقد نال منها التعب.

- لكل حقيبة مقبض، ألا يمكننا تعليق الحقائب بيد المقشة؟

قال جيجي ذلك وهو يقترب من كيكي، وقد تمالك نفسه.

- إنها ثماني حقائب.

هل تعتقد أن ذلك ممكن؟

- ربما لن ينجح الأمر.

- آه، انتظر. ربما يخف وزنها إذا أخرجناها من حقائبها.

جربت كيكي فتح أقرب الحقائب إليها. كان داخلها آلة موسيقية لامعة ذهبية اللون، كأنها مزلقة ملتفة في مدينة ملاهي.

- إنه بوق. يُنفخ فيه بالفم. أوه، وهذا أيضًا ترومبيت. وهذا ترومبون. أوه، أمّا هذه فكمان، وهذا تشيللو. علمني أبي أسماءها.

دارت كيكي تفتح الحقائب واحدة بعد أخرى، فتألقت كل آلة منها وحُقَّ على العازفين أن يفخروا بها .

- جيجي، أنت تستطيع حمل الكمان على الأقل، أليس كذلك؟ وسأحمل أنا هذا التشيللو. وبعد ذلك نربط آلات النفخ من الأكبر حجمًا إلى الأصغر ونعلقها بالمقشة، ما رأيك؟ ويمكننا استعارة جزء من حبال ربط الأمتعة.

تحدثت كيكي بسرعة وقد بدأت بالفعل في ربط الآلات معًا. وأحكمت ربطها بيد المقشة وقالت:

- هيا يا جيجي، اركب خلفي، أسرع.

امتطت المقشة وهي تحمل التشيللو بيدها اليمنى، وأمسكت القوس باليد اليسرى. وحمل جيجي بكفوفه الأربع الكمانَ الذي يكبره حجمًا، ولف ذيله في خصلات المقشة.

صرخت كيكي:

- حسنًا، سنقلع يا جيجي، هووووب.

وطارت من الباب الخلفي الذي ظل مفتوحًا منذ دخولها. ومعها طارت آلات النفخ واحدة تلوالأخرى.

هبت الرياح فأطلقت آلات النفخ أصواتًا متناغمة:

بيب... بيييب... بوبو

فوجئ ركاب القطار بالأصوات وأخرجوا رؤوسهم من النوافذ، وأشاروا وصاحوا.

- هاهاها، يحدث في السماء ما لا يخطر على البال. وهذا أمر رائع، أليس كذلك؟

استعادت كيكي ثقتها بنفسها، فأخذت تعزف على التشيللو الذي تحمله. وفعل مثلها

جيجي فداعب أوتار الكمان بمخالبه. ولذلك كان عزفهما ناشزًا، يجعل من يسمعها يكز بأسنانه. وظلت آلات النفخ تطلق أصواتًا غريبة كلما هبت عليها الرياح، فتبدو شبيهة بشخير النائم ونخير الخنازير، ولكن الأصوات تصبح طريفة متناغمة إن هبت عليها الرياح الجنوبية. شعرت كيكي بالمتعة فأخذت تطير يمينًا ويسارًا، وتعلو وتهبط لتجرب مختلف الأصوات في طريقها إلى مدينة كوريكو.

وفي الوقت نفسه، امتلأت قاعة الحفلات الخارجية عن آخرها بالجمهور. وتجاوزت الساعة الثالثة بعشر دقائق، وهو موعد بدء الحفل الموسيقي. علقت في وسط المسرح لافتة كُتب عليها: «حفل استدعاء الربيع»، جلس في صف واحد تحتها العازفون الثمانية بوجوه صارمة في مواجهة الجمهور. لعلهم أظهروا الهدوء، لكنهم انتظروا قلقين أن تحضر لهم كيكي آلاتهم الموسيقية. وخلف الكواليس انتظر ناظر المحطة وحمّالا الأمتعة في قلق أكبر.

ثم علا صوت من مقاعد الجمهور يقول:

- ابدؤوا سريعًا فالجو بارد.

ثم قال شخص آخر:

- سنتجمد من البرد. ألم تقولوا إنكم ستستدعون الربيع لتدفئتنا؟

فضحك الجميع ضحكات ساخرة. وهنا نهض أحد العازفين وقال:

- سنبدأ بعد قليل. أرجو منكم جميعًا الانتظار والإصغاء. ورغم برودة الجو في الخارج، فإننا سنعزف موسيقى جميلة تدفئ قلب من يصغي إليها. ونحن الآن نستعد بالصلاة من أجل ذلك.

دار العازف بعينيه على جموع المستمعين وتنحنح. وأخفى باقي العازفين الجالسين بجواره نفاد صبرهم، وتنحنحوا مثله ثم نكّسوا رؤوسهم متظاهرين بالصلاة. فشعر الجمهور بأن إرباك العازفين ليس بأمر لطيف، فهدأ الجميع ونكّسوا رؤوسهم هم أيضًا.



ماذا حدث؟ تناهى إلى أسماعهم صوت خافت، خافت جدًّا يأتي من مكان بعيد.

بيب... بيب... بوران

هيب... هيب... هوران

ييب... ييب... يوران

من بين الغيوم ومن وراء الجبال، فوق النهر الكبير وباتجاه البحر جاء الصوت مثل همسة، مثل دعوة، مثل سر، كأن الصلاة فعلت فعلها، وكان الربيع قادمًا في طريقه. فنظر العازفون والجمهور بوجوههم إلى السماء واحدًا بعد آخر. كان في السماء شيء يعكس أشعة الشمس فيتلألأ ويلمع، ويميل إلى اليمين وإلى اليسار ميلًا عظيمًا ويقترب ببطء.

بيب... بيب... بوران

هيب... هيب... هوران

ييب... ييب... يوران

كل من دس رقبته في ياقة معطفه، وكل من قوّس ظهره من البرد، وكل من حضن ركبتيه، كلهم تمططوا ونظروا عاليًا إلى السماء. اقترب الصوت الجميل كأنه يقربهم من الربيع. ولكن الدهشة أصابت العازفين الجالسين على المنصة. فتبادلوا النظرات والهمسات يطرفون بجفونهم في غيظ: «ما هذا؟ من الذي يعزف؟».

وبدأ يلوح الشيء البراق. أجل بالطبع. إنها كيكي وجيجي فوق المقشة، ثم آلات النفخ التي بدت قلادة مصنوعة من الضوء. اضطرب العازفون وانسحبوا خلف الكواليس سريعًا، ليتناولوا الآلات من كيكي بعد هبوطها على الأرض ويبدؤوا الحفل. لوَّح ناظر المحطة

والحمالان بأياديهم بكل ما أوتوا من قوة لإعطاء الإشارة لكيكي.

ولكن كيكي تجاهلت كل ذلك، فقد استمتعت استمتاعًا عظيمًا بعزفها على التشيللو برفقة أصوات آلات النفخ.

التفتت إلى الخلف وقالت لجيجي:

- هلا واصلنا الطيران قليلًا؟

- بالتأكيد، بالتأكيد. أظنهم يستطيعون الانتظار قليلًا، كأن باب القطار لم يُفتح.

وفي الأسفل تهامس الجمهور:

- مفهوم. إنها حفلة موسيقية رائعة.

- لم أتخيل أن تمطر السماء علينا موسيقى.

ومنهم من أغمض عينيه وراح يسمع في نشوة، ومن لوّح بيديه لكيكي، ومن حرك قدميه مع إيقاع الموسيقى.

تحمس الجميع كأن الربيع قد أتى بالفعل.

- يجب أن أستعد للربيع.

- أجل، هذا العام سأزين قبعتي بالبنفسج.

وأخيرًا انبرى الجميع يصفقون تصفيقًا حارًا تردد صداه في كل مكان.

- حسنًا، لنهبط.

جذبت كيكي الآلات الموسيقية أعلى المقشة حتى لا تصطدم بالأرض عند الهبوط وتتبعج، ثم نزلت ببطء خلف الكواليس حيث ينتظر العازفون وناظر المحطة والحمالان. بينما ظل الجمهور يصفق تصفيقًا حارًا وهم واقفون، حتى اختفت كيكي عن الأنظار.

وخلف الكواليس انتظر العازفون وصول كيكي إلى الأرض، وانطلقوا ناحيتها مسرعين وهم يتذمرون:

- ما هذا التأخير؟!

أخذوا آلاتهم من فوق المقشة.

فقالت كيكي بلا مبالاة:

- الرياح هي السبب.

حمل العازفون آلاتهم وأسرعوا نحو المسرح. ولكن الجمهور أدار لهم ظهره في طريقه نحو البوابات للخروج.

فناداهم أحد العازفين:

- مهلًا... انتظروا!

وهنا التفت أحد الجمهور وقال:

- شكرًا على تلك الموسيقى الرائعة. كانت فكرة عبقرية أن تطلبوا من الساحرة الجميلة أن ترسل إلينا الموسيقى من السماء. نرجو منكم المجيء مرة أخرى.

وإذ سمع العازفون ذلك فغروا أفواههم وتنهدوا في أسى.

طارت كيكي وجيجي مرة أخرى للعودة إلى المحل.

فقال لها جيجي:

- هل أخذتِ المقابل يا كيكي؟

فالتفتت كيكي إلى الخلف وقالت في ذهول:

- ماذا تقول! ماذا أطلب أكثر من هذه المتعة؟

- أنت محقة.

أومأ جيجي موافقًا وانتصبت أذناه السوداوان:

- ما زلت أسمع صوت الربيع.

- هذه الأصوات الحقيقية للربيع. لقد جاء حقًّا.

تأملت كيكي مدينة كوريكو الممتدة تحتها.

- لقد مر عام كامل على مجيئنا إلى هنا.

الفصل الحادي عشر

كيكي تزور مسقط رأسها

كان الربيع في أوجه في مدينة كوريكو.

قربت كيكي مقعدها من النافذة المشمسة، وجلست تحتضن ركبتيها. وكانت السماء مغبشة من ضوء الشمس الرقيق الذي يشبه وجنات رضيع.

- سنكمل عامنا بعد غد أخيرًا، ويمكننا زيارة بلدتنا.

تُرى كم مرة همست كيكي لنفسها بهذه الكلمات منذ الصباح؟

وكلما اقترب ذلك اليوم، شعرت كيكي بمزيج غريب من الفرح والخوف.

- حقًا. اليوم وغدًا. لم يبقَ إلا يومان. أثمة ما تودين إعداده؟

- لا. أعني ليس واجبًا أن يمرعام كامل.

ظل جيجي لدى سماعه قول كيكي يدور ويلف في الغرفة ويضرب الأرض بذيله.

- ماذا حدث؟ ألم تكوني تتحرقين شوقًا إلى العودة يا كيكي؟ والآن بعدما حان الوقت أصبحت لامبالية!

ظلت كيكي تحملق إلى ركبتيها وهي تقبض على تنورتها، وقد مدت ساقيها تتأمل أصابع قدميها المتراصة.

- أتظنني تغيرتُ؟ هل نضجتُ ولو قليلًا؟

- لقد طالت قامتك.

- أهذا كل شيء؟

- لا أدري.

هز جيجي شاربه في ضيق.

فسألته كيكي:

- هل تظنني نجحت في رحلة النضج؟

نظر إليها جيجي متعجبًا وقال:

- ماذا تقولين؟ لقد مر عام!

ثم نظر إليها وأمال رأسه فجأة وقال مشجعًا:

- أظنك حققت نجاحًا باهرًا.

- أشكرك.

قالت كيكي والتزمت الصمت.

اختارت كيكي أن تسير على خُطا أمها مثلما تفعل أي فتاة عادية. واختارت سكنى مدينة كوريكو بملء إرادتها، وبدأت عملها في مهنة التوصيل السريع، واجتازت صعابًا كثيرة. ولكنها بذلت قصارى جهدها خلال هذا العام. ورغم ذلك كله، ها هو القلق يستحوذ عليها فجأة، فتسأل نفسها: هل حقًّا نجحت في هذه الرحلة؟ قبل رحلة النضج، ربما كانت كيكي ستتباهى أمام الجميع قائلة: «لقد نجحتُ نجاحًا كبيرًا، ألا تفخرون بي؟!» ولكنها الآن ليست واثقة جدًّا، حتى بعد أن مدحها جيجي بالقول: «حققت نجاحًا باهرًا». فما الحقيقة يا ترى؟ باتت تشعر بالرغبة في سؤال شخص آخر.

نظر جيجي إليها نظرة جانبية وقال:

- مستحيل، لن تؤجلي زيارة الأهل، أليس كذلك؟

- مطلقًا.

ولتضع كيكي حدًّا لكل هذا، قفزت بحيوية ونشاط فجأة وفردت ظهرها وتمطت.

- إلى العمل. زيارة الأهل تعني توصيلًا سريعًا للمنازل. سأوصلنا إلى أمي وأبي كما ينبغي. لنبدأ الاستعدادات!

- وا فرحتاه!

صاح جيجي مسرورًا، وتشقلب في دورة كاملة حول نفسه. وأخيرًا تعدل مزاج كيكي وأخذت تعمل في همة ونشاط.

- يجب إبلاغ السيدة أوسونو أولًا.

- أوه، بعد غد؟ ظننت أن الوقت ما زال مبكرًا. كم من الوقت ستمكثين هناك؟

لم تُدهش أوسونو كثيرًا لأنها سمعت من قبل عن زيارة الأهل بعد مرور عام.

- حسنًا، ربما خمسة عشر يومًا. فهي عودة بعد عام كامل، وأريد الاسترخاء قليلًا.

فضحكت أوسونو أخيرًا وأمسكت بوجنتي كيكي.

- بات وجهك وجه فتاة مدللة. حين يقول المرء إنه ذاهب في إجازة، فإنها تكون عشرة أيام عادة، لا خمسة عشر يومًا. لذا فلتكن إجازتك قصيرة وعودي سريعًا.

احمر وجه كيكي وأخرجت لسانها في خجل.

ثم اتصلت بتومبو الذي ظل يمطرها بالأسئلة خلال المكالمة.

- يا لك من محظوظة. إنها رحلة طويلة، أليس كذلك؟ كم ستكون سرعة طيرانك؟ وكم الارتفاع؟ في اتجاه الرياح أم عكسها؟ كم درجة الحرارة في السماء؟ ما شعور الطيران داخل الغيوم؟ هل للغيوم مذاق؟

(أليس في رؤوس الأولاد إلا الأسئلة فقط؟ هذه حاله دائمًا، لا يهتم إلا بالعلم والمذاكرة فقط). وضعت كيكي سماعة الهاتف، ثم ظلت تحملق إليه ساخطة.

اتصلت كيكي بعدد من الزبائن الدائمين، وبصديقتها ميمي، وعندما انتهت من المكالمات كتبت على ورقة: «إعلان: سآخذ إجازة لبعض الوقت. أعتذر لكم. كيكي» ثم أضافت في زاوية الورقة: «بعض الوقت تعني عشرة أيام».

وفي المساء قالت كيكي لجيجي:

- سننظف المحل غدًا، ونغادر صباح بعد غد. موافق؟

لم يتوقف جيجي عن الابتسام لسعادته، وظل يدور ويدور محاولًا الإمساك بذيله. وتوقف فجأة عندما تذكر شيئًا ما وقال:

- الهدايا! ما الهدايا التي اخترتِها للسيدة كوكيري والسيد أوكينو؟ ليس لائقًا ألَّا تحملي لهما هدايا.

- عندنا حكايات كثيرة نرويها لهما.

- فقط؟ ماذا عن نطاق البطن؟ صنعتِه لهما، أليس كذلك؟ بخيوط الصوف الزرقاء.

لم تقل كيكي شيئًا بل قطبت حاجبيها.

- لم تنتهي منه؟ كعادتك دائمًا. لم تصبري على تعلم صنع دواء العطاس، ولم تصبري على هذا أيضًا؟

نفخ جيجي عند موضع قدمي كيكي مصدرًا خرخرة من منخاره.

- أوه. يا له من سوء أدب.

افترّت شفتا كيكي عن ابتسامة، مستعدة لتخبره سرًا. فأخرجت كيسًا ورقيًا منتفخًا من أحد الأدراج.

- لقد صنعتها بصبر وطول أناة. انظر!

وأخرجت ما في داخل الكيس وبسطته على يديها فوقع على الأرض نطاق بطن صغير، تتناثر نقوش فضية على خلفيته الزرقاء الزاهية.

- هذا لك يا جيجي. صنعته لك لتبدو أنيقًا عند الزيارة. ولأن النطاق الذي أعطته لك العجوز طار ليلة رأس السنة.

ألبست كيكي نطاق البطن لجيجي ففقد قدرته على الكلام، وأخذ يدور ويلف حول نفسه مجددًا.

- وصنعت نطاقين لأمي وأبي أيضًا.

أخرجت كيكي نطاقين رائعين أحدهما بلون برتقالي والآخر بلون أخضر غامق.

- كانت حياكتها صعبة جدًا وأنا أستتر منك كي لا تراني.

- هذا مكر منك. كيف أخفيت عني هذا السر؟

- ولكن أليس سرًا جميلًا؟ السر الجميل يزيد الفرحة ثلاثة أضعاف.

- سر جميل؟ ربما تكون فكرة جيدة. فهمت.

- فهمت ماذا؟

قالت كيكي ذلك فرد جيجي:

- لا شيء.

ثم بدأ يدور ويلف حول نفسه مرة ثالثة.

في اليوم التالي، وعندما كان كلٌّ من كيكي وجيجي ينظفان، ظهر تومبو فجأة لاهثًا. ودفع إلى كيكي كيسًا يحمله، وقال بوجه شديد الاحمرار كأنه غاضب:

- هذه لك!

فتحت كيكي الكيس وهي تقول لنفسها: «لاأفهم الأولاد أحيانًا». كان في الكيس حقيبة

صغيرة تُحمل على الكتف، طُرِّز عليها قط أسود على القماش الزهري.

- أوه، جميلة.

لم تستطع كيكي أن تقول أكثر من ذلك من شدة الفرحة، مثلما حدث لجيجي البارحة.

- هل أعجبتك؟

فأومأت كيكي بالموافقة.

فقال تومبو بفظاظة:

- خذيها معك.



فأسرعت كيكي تضعها على كتفها، فاحمر خجلًا ثم قال في عجل:

- سترحلين صباح غد كما سمعت، أليس كذلك؟ حسنًا صحبتك السلامة.

ثم مسح على جيجي وأسرع بالجري مغادرًا مثلما جاء.

- ماذا حدث لتومبو؟

فوجئت كيكي برحيله ونظرت إليه.

فقال جيجي كأنه يدافع عنه:

- يتمتع تومبو بذوق حسن يظهر في اختياره تصميم قط أسود.

- هذا صحيح.

أومأت كيكي بالموافقة وهي في قمة السعادة.

- ما دام اختار هذا التصميم لي خصيصًا، فهذا يعني أنني أعجبه كما أنا.

فتحت كيكي الزر الأحمر للحقيبة، ثم صاحت: «أوه» وأخرجت منها قصاصة ورقية كتب عليها:

«غدًا سوف ألوِّح لك بيدي من فوق جسر النهر الكبير». تومبو.

فسألها جيجي:

- ماذا تقول؟

- لا شيء. إنها فقط...

هزت كيكي رأسها وأعادت الورقة داخل الحقيبة، وربتت على الحقيبة في رفق. قالت كيكي لجيجي:

- حسنًا، سننطلق.

ثم حملت المقشة والأمتعة وكادت أن تخرج، ولكنها التفتت إلى الخلف كعادتها، وألقت نظرة شاملة على محلها.

الهاتف الأحمر، المكتب المصنوع من لوح خشب وآجر، خارطة المدينة، السلم الضيق، أكياس الطحين المجموعة في أحد الأركان، والأشياء الضرورية الصغيرة التي اشترتها بعد وصولها إلى هذه المدينة تباعًا. كانت كل هذه الاشياء ذكريات عام كامل، فشعرت كيكي بغُصَّة فجأة.



أخذت كيكي نفسًا عميقًا وقالت بصوت متهدج:

- لنذهب!

ألصقت كيكي ورقة «الإعلان» على باب المدخل، فخرجت من المخبز أوسونو حاملة كيسًا كبيرًا يمتلئ بالخبز، ومعها زوجها محتضنًا طفلتهما الرضيعة.

قالت لها أوسونو مازحة:

- عمل لك يا كيكي! أرجو منك توصيل هذا الخبز إلى السيدة والدتك. ولا تنسي أن تقولي لها إنه من عند أفضل مخبز في مدينة كوريكو!

انتبهت أوسونو إلى الحزن المرتسم على وجه كيكي، فضحكت ضحكة عالية كي تزيح عنها هذا الحزن.

- كيكي، لا بد أن تعودي إلينا. فنحن سعداء جدًّا بوجود ساحرة بجوارنا. يقول سكان المدينة: «إذا لم تطِر كيكي في سماء هذه المدينة ثلاثة أيام متتالية، نشعر بأن شيئًا ينقصنا».

تغضَّن وجه كيكي التي أحست أنها ستبكي. وقفزت في حضن أوسونو.

- بالطبع، بالطبع، سأعود.

حلقت كيكي في السماء العالية، والهدايا تهتز وقد أدلتها من يد المقشة. اكتنف ضباب خفيف مدينة كوريكو بسبب البخار المتصاعد من البحر في الصباح. ودارت كيكي حول المدينة بكاملها وهي ترسم دائرة كبيرة مركزها برج الساعة، ثم أبطأت وتوجهت إلى جسر النهر الكبير.

أه، إنه هناك. إنه تومبو. في وسط الجسر تمامًا، يمتطي دراجته ويلوّح بيديه الاثنتين تلويحات كبيرة. لوّحت كيكي له أيضًا.

فقال جيجي من خلفها في دهشة:

- أوه، أليس هذا تومبو؟

فقالت كيكي بفخر:

- بلى.

- هل كنت تعلمين يا كيكي؟

لم تجب كيكي على سؤال جيجي وظلت تلوّح بيدها.

- ألن تنزلي له؟ ألا يجدر بك أن تودعيه وداعًا لائقًا ولا تكتفي بالتلويح باليد فقط؟

- كلا، هذا يكفي.

ظلت كيكي تلوّح أكثر بيدها وهي تطير من أقصى الجسر إلى أقصاه مرتين ذهابًا وإيابًا. ثم تمايلت بالمقشة يمينًا ويسارًا بقوة، وزادت من سرعتها بكل عزمها متوجهة إلى الشمال. صغر حجم تومبو شيئًا فشيئًا، واختفى خلف الجسر.

- حسنًا، بدأت الرحلة.

تنفست كيكي الصعداء. ليس أمامها إلا الطيران في خط مستقيم حتى تصل إلى البيت. طارت المقشة برشاقة وانسيابية لا تختلف في شيء عن مقشة كوكيري السابقة. منذ متى بدأت هذه المقشة -وقد كانت حرونًا- تطير بهذه المهارة؟ انتبهت كيكي لهذا الأمر مجددًا فأصابتها الدهشة.

فقد بدأت تجني ثمار أفعالها التي نثرتها بين سكان مدينة كوريكو. إذ قالت لها أوسونو: «عودي سريعًا»، وأهداها تومبو الحقيبة، لا بد أنه يشعر بما شعرت به أوسونو. بل إن أهل البلدة يقولون إنهم يشعرون بأن شيئًا ينقصهم إذا لم تطِر في السماء. وشعرت كيكي بأن الحزن يذهب أدراج الرياح وهي تطير.

كانت رحلة كيكي وجيجي أسرع بكثير مما كانت عليه قبل عام.

غابت الشمس، وأطلق أول نجوم الليل شعاعًا خافتًا، وعندما أظلمت السماء وامتلأت بالنجوم عن آخرها، ظهرت عند أطراف الغابةِ المدينةُ التي تشعر نحوها بالشوق والحنين. أضاءت المصابيح كل بيت من بيوتها، واصطفت متجاورة في هدوء. بخلاف المدينة الساحلية، كان هواء الغابة مثقلًا بندى الليل. ثم ظهر أكثر ما يبث الراحة في النفس، الأجراس ذات اللمعان الخافت التي ما زالت معلقة في أعالي الشجر.

اتجهت كيكي مباشرة إلى بيتها الكائن في طرف المدينة الشرقي، وتوقفت فوق السطح.

فقال جيجي:

- أه، رائحة حساء البقول.

- كنت متأكدة من أنها ستطهوه لنا، فهو أحب الأطعمة إلينا.

استنشقت كيكي وجيجي الرائحة التي يشتاقان إليها في أعماق صدريهما، وهبطا بهدوء

في حديقة البيت. اقتربا من البيت وهما يتسللان بهدوء، وطرقا باب البيت برفق.

فسمعا صوت كوكيري تقول:

- تفضل بالدخول. أعتذر لك فيداي مشغولتان الآن.

تبادل كيكي وجيجي النظر، وأومأا معًا مثل الأطفال المشاكسين. وفتحا الباب قليلًا، وقالت كيكي بصوت خفيض رجولي:

- أهلًا. لديَّ طرد لكم يا سيدتي.

فالتفتت كوكيري من المطبخ، ففتحت كيكي الباب على مصراعيه في اللحظة نفسها.

- أوه، كيكي، يا لك من مشاكسة يا كيكي! كنتُ أظنك ستصلين فجرًا.

مدت كوكيري إلى كيكي يدًا تقبض على مغرفة يقطر منها الحساء.

- ولكن الأمر حدث مثلما قلت يا أمي. كنت واثقة بعودتي بعد عام كامل.

- هذا صحيح.

وضعت كيكي المقشة والأمتعة عند مدخل البيت وركضت تجاه أمها.

- أوه... أوه... أوه.

ربَّتت كوكيري على كتف كيكي وأخذت تكرر هذه الكلمة، وكلما قالتها وافقتها كيكي.

خرج أوكينو من الغرفة المجاورة وظل يتأمل مبتسمًا عناق الاثنتين، وقال ممازحًا بعد بعض الوقت:

- أتمنى أنك لم تنسني أنا أيضًا.

- أوه، لقد عدتُ إلى البيت يا أبي.

ثم لفَّت ذراعيها حول عنق أوكينو وتعلقت به.

وبعد أن هدأت الضجة السعيدة، حان وقت الحديث. فكانت كوكيري تتحدث وترد عليها كيكي، وبجوارهما أوكينو وجيجي ينظران إليهما في ذهول. تُرى هل خبأت الاثنتان كل هذا الكلام؟

أخرجت كيكي الخبز الذي أعطته لها أوسونو، ونطاق البطن الذي صنعته بنفسها وأرته لهما.

- أوه، هل بتّ قادرة على صنع هذا؟

وعلى الفور، وضعت كوكيري نطاق البطن تحت ملابسها وأخذت تضرب بيدها على بطنها.

- تتمتع الجدة بقوة عجيبة يا أمي. وأنا متأكدة أنها تضع تلك القوة في نطاق البطن وهي تصنعه.

أخذ أوكينو نطاقه في يده وراح يتأمله وهو يقول:

- يملك كثير من كبار السن قوى عجيبة هكذا.

عندئذ، تمدد جيجي على الطاولة، كأنه ينتظر اللحظة المناسبة، ثم أسقط من فمه قوقعة صغيرة بلون أرجواني فاتح ووضعها أمام كوكيري.

- أوه، أنت أيضًا أحضرت هدية؟

دُهشت كوكيري.

ودُهشت كيكي أيضًا وصاحت قائلة:

- أوه يا جيجي، أخفيت عني هذا السر!

واقترب جيجي من وجه كيكي وهمس في أذنها بصوت خفيض في لامبالاة:

- لقد التقطتها من البحر عندما ذهبنا الصيف الماضي. فالسر الجميل يضاعف الفرحة ثلاث مرات.

كانت ثلاثة أضعاف حقًّا. وضعت كوكيري القوقعة على راحة يدها، وأخذت تقلبها وتقربها من وجهها وتتأملها.

ثم سألت:

- هذه قوقعة، أليس كذلك؟ هل هذا هو لون البحر؟

فأجابت كيكي:

- أجل، إنها تشبه لون البحر فجرًا.

نظرت كوكيري إلى وجه كلٍّ من كيكي وجيجي وقالت بعاطفية:

- لقد كبرتما حقًّا. كنتما رضيعين منذ وقت قصير مضى، وها قد نضجتما.

سمعت كيكي هذه الكلمات فامتلأ قلبها ثقة وفخرًا. إذ أجابت أمها عن السؤال الذي أرادت

أن تسأله لشخص ما، وأدركت كيكي الآن أنها أرادت أن تسأله لأمها بالتحديد.

- أمي، أظن الساحرة يجب ألا تكتفي بالطيران. صحيح أنني أطير في عملي دائمًا، لأن عملي هو التوصيل السريع. ولكن المشي بين الحين والآخر أفضل، لأننا نستطيع التحدث مع أناس كثيرين أثناء مشينا، وإن لم نقصد ذلك. قابلت السيدة أوسونو وأنا أمشي. ولا أدري ما كان سيحدث لي، لو كنت وقتها أطير للتخفيف من أحزاني. ثم إذا رأى الناس ساحرة عن قرب، فسيدركون أنها ليست ذات أنف كبير معقوف وفم مشقوق. ويمكننا التحدث معًا ليفهم كل منا الآخر.

- أنت محقة.

وافقتها كوكيري بإعجاب.

وكان أوكينو يتأمل ابنته بعينين دهشتين كأنه يراها لأول مرة.

قضت كيكي وقتها كما كانت أيام طفولتها بدءًا من يومها التالي.

- عادت طباعك القديمة. لا بأس. هذا عام واحد مقابل ثلاثة عشر عامًا.

وضحكت كوكيري.

شربت كيكي الشاي في كوبها المفضل، وظلت تتزين أمام المرآة كما يحلو لها. وفي الليل، نامت وهي تحتضن اللحاف المنقوش بالزهور الذي تتغطى به منذ طفولتها. ثم تنام ملء جفونها وتتأخر في الاستيقاظ.

وكلما وجدت وقتًا تمشت في طرقات المدينة، فتنافس أهالي البلدة في إلقاء التحية عليها:

- أوه، هل رجعت يا كيكي؟

- أوه، لقد أصبحت جميلة يا كيكي.

- أوه، لم نرَك منذ فترة يا كيكي، زورينا لنتبادل الأحاديث.

كانت كيكي سعيدة لأنهم يهتمون لأمرها، لا شيء يعادل مسقط الرأس.

ولكن بعد مرور خمسة أيام، انتبهت كيكي فجأة إلى أنها تفكر في مدينة كوريكو.

ضحكات أوسونو، والخبز الطازج، وهذا الجار وذاك الجار اللذان يكلمانها من نوافذ البيوت. طريق الأشجار الموازي للنهر الكبير، ورائحة البحر، وبرج الساعة العالي، وابتسامة صديقتها

ميمي. باتت تشعر بالشوق إلى كل هذا. وتومبو. استقر منظره وهو يلوّح لها بكل عزم من فوق الجسر، في مكان ما من قلبها وشدها للعودة إلى مدينة كوريكو. وشعرت أن لديها الكثير من الأحاديث التي تريد أن تقولها له عندما يلتقيان في المرة القادمة.

وماذا عن محلها؟ ربما يدق جرس الهاتف الآن. أخذت كثير من الأمور تشغل بالها. ورغم وجودها في مسقط رأسها، فإنها شعرت بعدم الاستقرار كأنها سائحة. كان توقها إلى العودة إلى مدينة كوريكو -التي لم تعِش فيها إلا عامًا واحدًا- أمرًا غريبًا ومفاجئًا.

وأخيرًا قالت كيكي:

- قررتُ أن أعود إلى مدينة كوريكو غدًا أو بعد غد.

فوجئ أوكينو وقال:

- أوه، لقد ظننت أنك ستقضين معنا عشرة أيام.

ثم سألها:

- هل تشعرين بالملل هنا؟

- ليس هذا السبب. ولكن الزبائن ينتظرون عودتي. وربما يدق الهاتف بلا انقطاع.

- إذا بدأت تقلقين على مثل هذه الأمور، فلن تنتهي. انسي كل شيء هناك أثناء وجودك هنا.

- ولكن...

بدأت كيكي الرد ثم صمتت. انتظر أوكينو وكوكيري عودتها عامًا كاملًا. وها هي تقول لهما فجأة إنها قررت العودة بسرعة، ربما شعرا بأنها ابنة باردة المشاعر.

وهنا تكلمت كوكيري التي كانت صامتة بجوارها:

- ربما يجدر بك العودة. أتذكر أنني عندما سافرت من هنا لزيارة أهلي، شعرت برغبة عارمة في العودة سريعًا بدرجة تثير العجب. إن لم تشعري برغبة في العودة إلى كوريكو، فالعيب فيها. عودي إلينا مرة أخرى العام القادم يا كيكي.

في اليوم التالي طارت كيكي مع جيجي شرقًا إلى الجبل الأخضر للعب. وجلست على منحدر الجبل المطل على المدينة بأكملها، وتأملت المناظر بقدر ما امتد إليه بصرها.

قالت كيكي لجيجي الذي يلاعب دودة تزحف على العشب بقدميه الأماميتين:

- جيجي، لقد قررت العودة غدًا، لا تمانع، أليس كذلك؟

- لا مانع. رغم أننا يتوجب علينا حزم متاعنا التي فككناها قبل وقت قصير.

- لقد اخترت الهدايا مسبقًا.

- وستبقينها سرًا هذه المرة أيضًا؟

- كلا، هدية السيدة أوسونو هي دواء أمي. أظن أن دواء العطاس مفيد جدًا للطفلة الرضيعة. تحيرت كثيرًا في اختيار هدية تومبو، ولكني عزمت على إهدائه أحد الأجراس التي وضعتها أمي أعالي الأشجار. أنزع أكبرها حجمًا وأصقله حتى يلمع. فهو ذكرى لأيام طفولتي.

أومأ جيجي قائلًا:

- أجل. هدية جيدة. أفضل بكثير من قلم الحبر.

فضحكت كيكي وقالت:

- أوه، يا لك من مشاكس يا جيجي. يصدر الجرس صوتًا جميلًا فلا داعي إلى أن أرفق معه شعرًا. كما أنني لا أعرف ماذا أكتب.

فاحت رائحة العشب من تحت قدميها، وسمعا أصواتًا حادة، وأصواتًا مبحوحة لخوار أبقار تأكل العشب هنا وهناك، تأتي مع النسيم الرقيق الذي يهب من حين إلى آخر. وعندما استلقت وأغمضت عينيها، تحولت أشعة الشمس إلى نقط بلون العشب تتحرك داخل مقلتيها كأنها تسبح.



(يا له من شعور رائع أن يكون للمرء مكان يعود إليه!)

شعرت كيكي عندما زارت مسقط رأسها بأنها أعادت اكتشاف نفسها من جديد.

عادت كيكي إلى البيت فقالت لها كوكيري ضاحكة:

- هل ذهبت إلى الجبل الأخضر؟

- هل عرفت؟

- أجل. فعلى وجنتيك آثار العشب واضحة.

وفي عصر ذلك اليوم راحت كيكي تنزع مع كوكيري الأجراس المتدلية من قمم الأشجار واحدًا بعد آخر.

- كلما هبت الريح ورنت الأجراس تذكرتك خلال هذا العام.

كانت مشاعر كوكيري معقدة، فلا يُعرف هل هي تضحك أم تبكي.

فهمست كيكي قائلة:

- يعتصر قلبي الحزن كلما تذكرت أني لم أعد بحاجتها.

فقالت كوكيري:

- سأحتفظ بها بعناية حتى وقت الحاجة إليها مرة أخرى.

فسالتها كيكي دون أن تفهم:

- ماذا!

وهنا غمزت كوكيري.

- من أجل ابنتك. لا شك أنها ستكون مثل إحداهن في تسرعها واستعجالها.

ثم ضحكت.

اختارت كيكي أكبر هذه الأجراس وصقلته ووضعته في كيس.

مرة أخرى ودعت كيكي كلًا من كوكيري وأوكينو. ولكن الوداع هذه المرة لم تخالطه مشاعر القلق أو اللهفة مثلما حدث في رحلة النضج.

- إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

قالوها وهم يلوحون مبتسمين.

طارت كيكي وجيجي في خط مستقيم تُجاه مدينة كوريكو. سمعت من حين إلى آخر صوت جرس خافت يصدر عن الأمتعة المتدلية من يد المقشة، فيحثها على الإسراع في طيرانها.

وأخيرًا لاح البحر متألقًا من مسافة بعيدة، وظهرت مدينة كوريكو بأبنيتها المثلثة والأخرى التي تشبه الصناديق.

أشارت كيكي وهي تصرخ:

- انظر، إنها مدينتنا.

أمامهما، امتد الظل الطويل لبرج الساعة في شمس الغروب عبر كوريكو، كأنه يشطرها إلى نصفين.



